التأصيل المنهجي للأمن الفكري

في القرآن والسنة النبوية

ISBN 978-9922-8695-2-0

١٨٩

ك ٤٢٨ الكربلائي/ نبيل الحسني.

التأصيل المنهجي للأمن الفكري في القرآن والسنّة النبويّة/ نبيل الحسني الكربلائي. -ط١. -

كربلاء: مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٥.

١٧٦ص؛ ٢٠٢٥.

١- الفلسفة الإسلامية - أ - العنوان.

رقم الإيداع

٢٠٢٥ /٥٠٣١

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٥٠٣١ لسنة ٢٠٢٥

BP134.R33 H38 2025

الحسني، نبيل، ١٣٨٤ للهجرة- - مؤلف.

التأصيل المنهجي للأمن الفكري في القرآن والسنة النبوية : دراسة في الوسائل والأدوات والآثار لموجهة الفكر المتطرف مع محلق بالأسئلة التي طرحت على الباحث في الندوة البحثية الموسعة التي أقامها المجمع العلمي للقرآن الكريم التابع للعتبة العباسية المقدسة في النجف الأشرف / تأليف السيد نبيل الحسني. - الطبعة الأولى. - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٥ / ١٤٤٧ للهجرة.

١٧٦ صفحة ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١٦٩٥)، (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ٢٤٣)، (سلسلة الدراسات والبحوث العلمية، وحدة الدراسات الفكرية ؛ ٣٥).

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

١ . الأمن الفكري في القران ٢. الأمن الفكري في الحديث ٣. التطرف الديني - مكافحة أ. العتبة الحسينية المقدسة. المجمع العلمي للقرآن الكريم ب. العنوان

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

سلسلة الدراسات والبحوث العلمية (٣٥)
وحدة الدراسات الفكرية

التأصيل المنهجي للأمن الفكري في القرآن والسنة النبوية

دراسةٌ في الوسائل والأدوات والآثار لمواجهة الفكر المتطرف

مع مُلحقٍ بالأسئلة التي طُرحت على الباحث في الندوة البحثية المُوسَّعة التي أقامها المجمع العلمي للقرآن الكريم التابع للعتبة العباسية المقدسة في النجف الأشرف

تأليف
السيد نبيل الحسني

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة

جميع الحقوق محفوظة

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

العراق - كربلاء المقدسة - مجاور مقام علي الأكبر (عليه السلام)

مؤسسة علوم نهج البلاغة

الموقع الألكتروني: www.inahj.org

الإيميل: Inahj.org@gmail.com

موبايل: ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣ - ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

الإهداء

إلى: الطفولة المنحورة عند أعتاب الخلافة.

إلى: السِّقط الشهيد المحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام).

إلى: عبد الله الرضيع بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب المذبوح على صدر أبيه (عليهما السلام).

إلى عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب المنحور بين يدَي عمِّه الحسين (عليهما السلام).

إلى القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب الشهيد الذي لم يراهق (عليهما السلام).

إلى أطفال آل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين استُشهدوا وتيتَّموا وتشرَّدوا بفتاوى الخلافة.

أهدي كتابي هذا.

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة:

«**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُه الشَّوَاهِدُ، ولَا تَحْوِيه الْمَشَاهِدُ،ولَا تَرَاه النَّوَاظِرُ، ولَا تَحْجُبُه السَّوَاتِرُ**»[1]، «**وأَشْهَدُ أَنَّ محمّدا عَبْدُه ورَسُولُه الصَّفِيُّ، وأَمِينُه الرَّضِيُّ، أَرْسَلَه بِوُجُوبِ الْحُجَجِ وظُهُورِ الْفَلَجِ وإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِهَا، وحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا، وأَقَامَ أَعْلَامَ الِاهْتِدَاءِ ومَنَارَ الضِّيَاءِ، وجَعَلَ أَمْرَاسَ الإِسْلَامِ مَتِينَةً، وعُرَى الإِيمَانِ وَثِيقَةً**»[2] وأنّ أهلَ بَيْتِه هُمْ «**أَسَاسُ الدِّينِ وعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ**»[3]، فصلواتُ الله عليه وعلى آله وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمّا بعدُ:

فممّا لا ريبَ فيه أنّ القرآن الكريم يُعدُّ منهلًا لأصول المعارف الإنسانيّة والحياتيّة؛ فقد وصفه الله تعالى في محكم كتابه فقال: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[4]، ثمّ أُقرنتْ به السُنَّةُ النبويّة فقال عزّ وجلّ: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[5].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٥، بتحقيق صبحي صالح: ص٢٦٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

(٤) النحل: ٨٩.

(٥) الحشر: ٧.

ومن ثَمَّ فإنّ الرجوع إلى القرآن والسُنَّة للوقوف على أصول المعارف -وإنْ تعدَّدتْ في المحافل العلميّة والفكريّة مع اختلاف الزمان والمكان- يُعدُّ ضرورة شرعيّة وفكرية وعلميّة؛ وذلك لما فيه من تقنينٍ للفكر وإرجاعه للثوابت التي جاءت بها الشريعةُ المقدّسة، ومن هنا كان بحثنا الموسوم بـ (التأصيل المنهجيّ للأمن الفكريّ في القرآن والسُنَّة النبويّة دراسة في الوسائل والأدوات والآثار لمواجهة الفكر المتطرف).

والذي يُعدُّ مكمِّلًا للبحث الذي شاركنا به في الندوة الفكريّة العلميّة التي أقامها المجمعُ العلميّ للقرآن الكريم ومعهدُ القرآن الكريم التابعان للعتبة العباسيّة المقدّسة؛ وذلك ضمن سلسلةٍ من البحوث الفكريّة في الأمن الفكريّ، التي حاضر فيها عددٌ من فضلاء الحوزة العلميّة في النجف الأشرف ضمن سبع جلسات بحثيّة مُوسَّعة، وقد افتُتِحت الندوةُ ببحثنا الموسوم بـ (تأطير مفهوم الأمن الفكريّ في القرآن والسنّة النبويّة) فجزاهم الله خيرًا على ما بذلوا في خدمة القرآن الكريم والسُّنّة النبويّة الشريفة.

وبالنظر إلى أهميّةِ البحث وَسَعَةِ مطالبه الفكريّة؛ فقد عزمتُ -بعد الاتِّكال على الله تعالى- بدراسته مُجدَّدًا والبحث في المعارف القرآنيّة المشتملة على الأمن الفكريّ ومناهج الأنبياء والرُّسل ولا سيّما أولو العزم الثلاثة، أي إبراهيم وموسى وعيسى(عليهم السلام)، فضلًا عن دراسة الجهد والمنهج المميَّز لسيّد الأنبياء والمرسلين (صلّى الله عليه وآله) في إخراج الناس من التطرّف الفكريّ ونقلهم إلى الأمن الفكريّ عبر جملةٍ من الوسائل والأدوات التي عملتْ على تنامي الوعي عند الناس؛ سواء في أصل الدعوة للتوحيد والنبوَّة، أو في نجاة

أُمّته من الضلال والوقوع في فَخِّ الانحراف والتطرّف الفكريّ مرةً أخرى وعبر مُسمَّياتٍ وعنواناتٍ جديدة، مما تطلّب جهدًا ونهجًا أوسع من الجهد الذي بذله(صلّى الله عليه وآله) في مواجهة الوثنيّة وضُروبها المتعدِّدة.

ومن ثَمَّ فقد استلزمت الدراسة تدعيمها بتمهيدٍ ليكون مدخلًا إلى الدراسة، وثلاثة فصول اشتملت على مباحثَ ومسائلَ جديدة ، وخاتمة بالنتائج، فَخُصِّص المدخلُ: لبيان الحاجة إلى الأمن الفكريّ وأهميّته، وخُصِّص الفصلُ الأوّل: لتعريف الأمن الفكريّ ومفهوم المصطلح وتأصيله، ومناقشة التعريفات، وخُصِّص الفصل الثاني: لموارد تأصيل الأمن الفكريّ في القرآن الكريم والأدوات والوسائل التي استعان بها الأنبياءُ ولا سيّما أولو العزم الثلاثة، أي إبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام)، فضلًا عمّا خَصَّ اللهُ به سيّدَ خَلْقِه (صلّى الله عليه وآله) بالوسائل في تأصيل الأمن الفكريّ في أُمّته؛ وهو ما خُصِّص له الفصل الثالث: والموسوم بـ(وسائل تأصيل الأمن الفكريّ في السُّنّة النبويّة)، وقد أَضَفْتُ إلى الدراسة مُلحقًا خاصًّا بالأسئلة التي طرحها طَلَبةُ العلم وأصحابُ الفضيلة وطَلَبةُ الجامعات والأساتيذ وعمداء الكليّات الحاضرون في الندوة والتي كانت على قسمين، الأوّل: الأسئلة المقدَّمة من السادة الحضور والتي أجبتُ عليها مباشرةً، والأُخرى: الأسئلة التي قُدِّمت بعد انتهاء الوقت المقرَّر للجلسة النقاشيّة.

فإنْ أصبتُ فذلك مبلغ علمي ومقدار رزقي من التوفيق ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾[1]، والله وليُّ التوفيق، ومنه ومن رسوله

(١) يوسف: ٧٦.

(صلّى الله عليه وآله) نسأل المزيدَ، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ**﴾[1]، اللهمّ إنّا إليك وإلى رسولك راغبون ولفَضْلِكما ملتمسون ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[2].

المتشرِّف بالخدمتين

العتبة الحسينيّة المقدّسة وكتاب نهج البلاغة

السيّد نبيل الحسنيّ الكربلائيّ

من جوار ضريح ريحانة الرسول (صلّى الله عليه وآله)

وقُرّة عين الزهراء البتول (عليها السلام) الإمام الشهيد المظلوم

أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

تمّ الانتهاءُ من الدراسة في كانون الأول لعام ٢٠٢١م

(١) التوبة: ٥٩.

(٢) هود: ٨٨.

المدخل إلى الدراسة:

الحاجة إلى الأمن الفكريّ وأهميّته

يمكن لنا تحديد حاجة الإنسان إلى الأمن الفكريّ وبيان أهميّته عبر النقاط الآتية:

أوّلًا- فطريّة الحاجة إلى الأمن الفكريّ:

يُعدُّ الاحتياجُ إلى الأمن حاجةً فطريّةً تسير مع سير الإنسان على الأرض وإنْ تفاوتت الإدراكات والثقافات والوسائل لتحقيقه؛ وذلك أنّ الله تعالى أقرنه مع وجود آدم (عليه السلام) في الجنّة، فقال: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى**﴾[1] فكان الاحتياجُ إليه ملازمًا للإنسان ومُرافقًا له إلى يوم القيامة؛ فمثلما كان محتاجًا إليه في الدنيا فهو أحوج إليه في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[2].

ثانيًا- تَعدُّد الحاجة إلى الأمن:

إنَّ تَعدُّدَ مخاوف الإنسان ممّا يُحيط به وسعيه في الحفاظ على نفسه وخواصِّه من مالٍ وبنين وزوجةٍ وأهلٍ ومكانٍ وغيرها، دفعه إلى البحث عن تعدُّد أصناف الأمن؛ فالاقتصاد بحاجةٍ إلى الأمن، والغذاء بحاجةٍ إلى الأمن، والأسرة بحاجةٍ إلى الأمن، ونفس الإنسان وشخصه بحاجةٍ إلى الأمن، ومَحلُّ

---

(١) طه: ١١٨ - ١١٩.

(٢) فصلت: ٤٠.

عيشه وهو الوطن بحاجةٍ ماسّة إلى الأمن، وسنام هذه الاحتياجات هي سلامة الفكر وتوفير الأمن له.

ثالثًا- نتائج فقدان الأمن الفكريّ:

إنَّ الفكر إذا تعرّض للتهديد وسَيطر الخوفُ عليه والشكوكُ والأوهامُ اندفع إلى عدم الاستقرار ولم يَستقِمْ معه حالٌ؛ وذلك أنّ الفكر حينما يكون مضطربًا ومُشوَّشًا جرّ النفسَ إلى الهاوية، وما إقدامُ المرء على الانتحار في بعض المجتمعات المسلوبة من الإيمان بالله تعالى إلّا نتيجة لفقدان الأمن الفكريّ؛ وذلك عبر أفكار مُشوَّشة ومغلوطة تُوهِمُ العقلَ وتأخذه إلى الإقرار بأنّ الشعور بالأمن والخَلاص من الخوف لا يكون إلّا عبر التخلُّص من الحياة؛ فيقع في الخسران المبين، وكيف لا وقد خسر حياته وفجع أهله وأحبابه وهلك في الآخرة؟

رابعًا- اهتمام الشريعة الإسلاميّة بالأمن الفكريّ:

لقد اهتمّ القرآنُ الكريم والنبيُّ (صلّى الله عليه وآله) وعترتُه أهل بيته(عليهم السلام) بالأمن الفكريّ وتأصيله وبنائه في النفس والأسرة والمجتمع؛ وذلك لكونه من أسمى ما كُلِّفت به الأنبياء(عليهم السلام) في دعوتهم إلى التوحيد.

خامسًا- أثر التوحيد في تأمين الفكر من التطرُّف:

إنَّ من أهمّ آليّات تحقيق الأمن الفكريّ وعصمة الذهن من الشرك والوثنيّة بمختلف ضُروبها، وأمان الفكر من الشكوك والظنون هو التوحيد؛ قال تعالى: ﴿..**وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ**

مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾[1].

وقال أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام):

«أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُه وكَمَالُ مَعْرِفَتِه التَّصْدِيقُ بِه، وكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِه تَوْحِيدُه...».[2]

وقال الإمام الحسين (عليه السلام):

«كيف يستدلُّ عليك بما هو في وُجوده مُفتقِرٌ إليك، أيكونُ لغيرك من الظُّهور ما ليس لك حتّى يكونَ هُو المُظْهِرُ لك، متى غِبْتَ حتّى تحتاجَ إلى دليلٍ يدلُّ عليك، ومتى بَعُدْتَ حتّى تكونَ الآثارُ هي التي تُوصِلُ إليك..»[3].

ومن ثَمَّ: فقد اهتمّ القرآنُ والسُنّة النبويّة المطهّرة بالأمن الفكريّ اهتمامًا بالغًا؛ وذلك لكونه الأساس في الوصول إلى الأمن الحياتي[4] بجميع ضرُوبه.

سادسًا- منهجيّة البحث:

اعتمدتُ في البحث على المنهج الاستقرائيّ والتحليليّ للوصول إلى نتائج الموضوع وبيان مرتكزاته؛ ممّا استلزم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث وعددٍ من المطالب والمسائل.

---

(١) إبراهيم: ٩-١٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة الأولى.

(٣) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسّي: ج٦٤ ص١٤٣.

(٤) الأمن الحياتّي من المصطلحات المعاصرة التي شغلت حيزًا كبيرًا في العديد من الدول المتقدِّمة، فنجد في كندا -على سبيل المثال- وزارة تُسمىّ بـ: وزارة الأمن الحياتيّ، ولمزيدٍ من الاطّلاع، ينظر: الأمن الحياتيّ في خلافة الإمام الحسن عليه السلام بين بنود وثيقة الصلح للإمام الحسن عليه السلام والجمعية العامّة للأمم المتحدة.

الفصل الأوّل:

تعريف الأمن الفكريّ

وبيان مفهوم المصطلح وتأصيله.

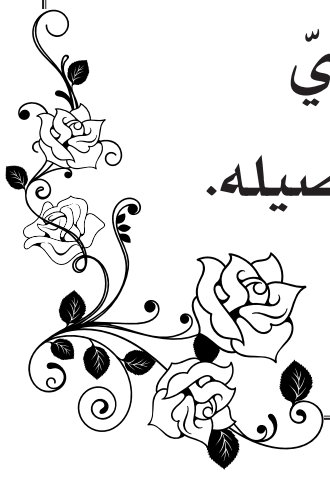

توطئة:

السَّير التاريخيّ لمصطلح الأمن الفكريّ

لا يخفى على أهل البحث والمعرفة أنّ مصطلح (الأمن الفكريّ) هو من المصطلحات الجديدة التي تخلو منها المعاجم العربيّة، فهو مصطلح معاصر أفرزته التداعياتُ والأحداثُ التي تعصف بالأُمّة الإسلاميّة والتي في حقيقة الحال لم تكن وليدة هذا العصر، وإنّما كانت قديمةً ومنذ القرن الأوّل للهجرة النبويّة، فما تعرّض له آلُ النبيِّ (صلّى الله عليه وآله) ومَنْ تمسّك بهم من الصحابة والتابعيّين من سَفْكٍ للدماء، هو في حقيقته كاشف عن فقدان الأمن والطُّمأنينة في المجتمع وسيطرة الخوف والذُّعر محلّهما وبنسَبٍ متفاوتة في الزمان والمكان.

ومن ثَمَّ: فإنّ الأحداثَ متجدِّدةٌ في البلاد والأزمنة وليست بالجديدة على واقع العالم الإسلاميّ، وإنّما الجديد هو المصطلح الذي كان مُلاصِقًا لهذه الأحداث، التي يشهدها العالم بأجمعه ولا سيّما عالمنا المعاصر؛ وذلك بسبب الوسائل الإعلاميّة ونقل الخبر والصورة عبر القنوات الإعلاميّة ومواقع الشبكة المعلوماتيّة والتواصل الاجتماعيّ، وغير ذلك.

وعليه:

لا بُدّ من المرور بمفهوم هذا المصطلح وتعريفه؛ كي نتمكّن من تقديم صورةٍ نقيّة المعالم عن مشروع القرآن الكريم والسُّنّة النبويّة في تحقيق الأمن للفكر والإنسان والمجتمع؛ وهو على النَّحْوِ الآتي:

المبحث الأوّل:

التعريف التجزيئيّ لمصطلح الأمن الفكريّ

ينقسم مصطلحُ الأمن الفكريّ إلى مفردتين هما: (الأمن) و(الفكر)، وللوصول إلى المعنى اللغويّ للمصطلح يلزم العُروج إلى بيان معنى هاتين المفردتين، وهما:

المسألة الأولى: تعريف الأمن في اللُّغة والاصطلاح وبيان أنواعه.

أوّلًا- الأمن لُغةً:

يرى أهلُ اللُّغة أنّ «الأَمَنةُ من الأَمْنِ، والأمان: إعطاء الأمنة، والأمانة ضد الخيانة؛ يقال: أمِنْتُ الرجل أَمْنًا وأَمَنَةً وأمَانًا، وآمَنِني يُؤْمِنُني إيمانًا؛ والعربُ تقولُ: رجلٌ أمَّانٌ إذا كان أمينًا»[1] وعلى هذا، فالأمن في اللغة: هو سكون القلب واطمئنانه بعدم وجود مكروه وتوقّعه.

وذلك أنّ «أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويُجعل الأمانُ تارةً اسمًا للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارةً اسمًا لما يؤمن عليه الإنسان»[2].

ثانيًا- الأمن اصطلاحًا:

وهذه المعاني اللغوية تُلزم الذهاب إلى المعنى الاصطلاحيّ للأمن؛ كي

---

(١) القول لابن فارس ناسباً إيّاه إلى الخليل. (معجم مقاييس اللغة، ج١/ ص١٣٣-١٣٤، وينظر: العين، الفراهيديّ: ج٨/ ص٣٨٨)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانّي: ص٢٥.

نصل إلى المعنى والدلالة التي تُرشِد إلى مفهوم الأمن الفكريّ، وعليه:

فإن الأمن في الاصطلاح هو: «عدم توقّع مكروهٍ في الزمان الآتي»[1].

وهذا التعريفُ الشُّموليّ يُرشِدُ إلى احتياج الإنسان إلى دَفْعِ كلِّ مكروهٍ من حوله؛ سواء في زمانه أو في الزمان الآتي أي المستقبل، ومن ثَمَّ لا ينحصر الأمر في الوطن أو المجتمع أو الأسرة أو النفس؛ لا سيّما وأنّ القرآن الكريم يربط بين الجانب الاقتصاديّ والجانبين الاجتماعيّ والفردي في آثار تحقيق الأمن فيقول سبحانه: ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾[2]؛ أي إنّ الخوف هو الأمر الملازم للأمن.

ثالثًا- أنواع الأمن:

إنَّ كلّ أمرٍ يُسبِّب خوفًا للإنسان احتاج إلى الأمن منه، ولذلك نجد أنّ الأمن قد دخل في جملةٍ من الجوانب الحياتيّة والتي تمخّضت عن بعض التعريفات للأمن، ومنها:

١- الأمن النفسي.

عُرِّف (الأمن) في الجانب النفسيّ بأنّه «الحالة التي يسودُ فيها الشعورُ بالطُّمأنينة والهدوء والاستقرار والبُعد عن القلق والاضطراب»[3].

٢- الأمن الاقتصاديّ.

قدّمت الأُمم المتحدة تعريفًا جامعًا للأمن الاقتصاديّ، وهو: «أنْ يملك

(١) تاج العروس: ج١٨، ص٢٣، المصطلحات، إعداد المركز الفقهي: ص٥١٣.

(٢) قريش: ٢ - ٣.

(٣) الأمن الفكريّ والعقائدي مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه، لأحمد بن علي بن المجدوب: ص٥٣.

المرءُ الوسائل المادّية التي تُمكِّنه من أنْ يحيا حياةً مستقرّةً مشبَعَةً»؛ ويُعرِّفه آخرون: «بأنْ يملك الفردُ ما يكفي من المال لإشباع حاجاته الأساسيّة؛ وهي الغذاء والمأوى اللائق، والرعاية الأساسيّة، والتعليم»[1].

٣- الأمن الاجتماعيّ.

ويعني: «توفير الأمن للمواطن بالقدر الذي يزيد من الشعور بالمواطنيّة والانتماء والعدالة الاجتماعيّة»[2].

٤- سلطة الأمن العامّ.

وهي: «السلطة التي تُمارسها الدولةُ وتملك بها السيطرةَ على الفرد والأملاك، وتستطيع منع ما من شأنه مضارّة المجتمع في راحته أو أمانه أو صِحّته أو مصلحته»[3].

٥- مجلس الأمن.

وهو: «الهيئة التنفيذيّة للأمم المتّحدة، وهو يتشكّل من خمسة أعضاء دائميّين وستة إضافيّين لفترات مُعينة، ويهدف بالدرجة الأولى مَنْعَ الحروب أو إيقافها بالتدابير الدبلماسيّة أو الاقتصاديّة أو العسكريّة»[4]. وغيرها من أصناف الأمن التي تعدّدت بتعدُّد المخاوف والتهديدات التي تُحيط بالإنسان؛ كالأمن القوميّ، والأمن اللُّغويّ، والأمن البيئيّ، وغيرها.

---

(١) دور الأعلام في قضايا الأمن الاقتصاديّ والاجتماعيّ، د. سناء الحاج: (www.ministryinfo.gov.lb).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المعجم القانونّي، حارث سليمان الفاروقيّ: ج ق٢، ص٥٣١.

(٤) المصدر السابق.

المسألة الثانية: تعريف الفكر في اللُّغة والاصطلاح.

أوّلًا- الفكر لُغةً:

يرى أهلُ اللغة في بيان معنى الفكر أنّ التفَكُّر: التأمّل، والاسم: الفِكرُ، والفكرة، والمصدر: الفَكْر بالفتح، ويُقال: ليس لي في هذا الأمر فكرٌ؛ أي ليس لي فيه حاجة، ورجل فِكِّير: أي كثير التفكير[1]. وقيل: «تردُّد القلب في الشيء؛ يقال: تفكَّرَ إذا ردّد قلبه معتبرًا»[2]. وقيل: «إعمال النظر في الشيء؛ كالفِكرة والفكريّ بكسرهما والجمع: أفكار»[3].

ثانيًا- التعريف المختار:

ويمكن أنْ نستخلص من هذه التعاريف، أنّ الفكر هو: «إشغال القلب؛ أي العقل في التأمُّل عبر النظر في الشيء».

ثالثًا- الفكر في الاصطلاح:

تعدّدت التعريفاتُ في الاصطلاح؛ فالفكر عند شيخ الطائفة الطوسيّ (رحمه الله): «هو التأمّل في الشيء المفكَّر فيه، والتمثيل بينه وبين غيره، وبهذا يتميّز من سائر الأعراض من الإرادة والاعتقاد، وليس في المتعلّقات بأغيارها شيء يتعلَّق بكون الشيء على صفة أو ليس عليها غير النظر -والنظر هو الفكر- »[4].

---

(١) ينظر: الصحاح، الجوهريّ: ج٢، ص٧٨٣.

(٢) معجم مقاييس اللُّغة، ابن فارس: ج٤، ص٤٤٦.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آباديّ: ج٢، ص١١١.

(٤) الاقتصاد، الشيخ الطوسي: ص٩٤.

وقيل هو: «حركة النفس نحو المبادي والرجوع عنها إلى المطالب»[1]، وقيل أيضًا: «حركة النفس في المعقولات بخلافها في المحسوسات فإنّها تخييل لا فكر»[2]، وقيل: «إعمال العقل بالمعلوم للوصول إلى المجهول»[3]، وقيل: «إنّ الفكر يُطلَقُ على الفعل الذي تقوم به النفسُ عند حركتها في المعقولات أو يُطلَقُ على المعقولات نفسها؛ فإذا أُطلِقَ على فعل النفس دَلَّ على حركتها الذاتيّة وهي النظر والتأمُّل، وإذا أُطلِقَ على المعقولات دَلَّ على المفهوم الذي تُفكِّر فيه النفس»[4]، وقيل: «إعمال النظر والتأمّل في مجموعةٍ من المعارف لغرض الوصول إلى معرفةٍ جديدة؛ وهو بهذا عمليّةٌ يقوم بها العقلُ أو الذهن بواسطة الربط بين المدركات أو المحسوسات واستخراج معانٍ غائبة عن النظر المباشر»[5].

رابعًا- التعريف المختار:

يمكن أنْ نستخرج من هذه التعريفات: «إنَّ الفكر اصطلاحًا هو: التأمّل والنظر في أمرٍ ما بقصد الوصول إلى معلومةٍ جديدة وتكوين معرفةٍ حول الشيء المفكَّر فيه».

(١) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة لمحمود عبد الرحمن: ج٣، ص٥٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) معجم لغة الفقهاء، لمحمّد قلعجي: ص٣٤٩.

(٤) المعجم الفلسفيّ بالألفاظ العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة واللاتينيّة، جميل صليبا: ج٢، ص١٥٦.

(٥) التعريفات للجرجانيّ: ص٥٥.

المبحث الثاني:

التعريف التركيبيّ لمصطلح الأمن الفكريّ

المسألة الأولى: عرض التعاريف وتحليلها ومناقشتها.

تناولت الدراسةُ والبحوث التي اهتمّتْ بموضوع الأمن الفكريّ تعريفَ المصطلح بجملةٍ من التعريفات، وهي على النَّحْوِ الآتي:

أوّلًا- الشيخ عبد الله بن بيه[1]:

١- **نَصُّ التعريف**: «أنْ يعيشَ الناسُ في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين مطمئنين على مكوّنات أصالتهم، وثقافتهم النوعيّة، ومنظومتهم الفكريّة».

٢- **تحليل التعريف ومناقشته**: إنّ أوّل ما يُلاحظ على التعريف هو قيام الباحث بحصر مكوّنات أصالة الإنسان وهي: (الثقافة النوعيّة، والمنظومة الفكريّة)، في حصول الأمن، وممّا يَرِدُ على هذا القول من إشكال هو البحث عن الشيء الذي يُحقِّق الاطمئنان عند الإنسان، فهو حدّد الأمن الفكريّ للناس (أن يكونوا مطمئنين)، لكن أصل السؤال ومدار البحث: هو كيف يكونوا مطمئنين؟ إذ لا بُدّ أنْ يقدّم الباحثُ آليةَ حصول الإنسان على الاطمئنان في مكوِّنات التعريف ليُحقِّق بذلك كونه مانعًا جامعًا.

---

(١) عبد الله ابن الشيخ المحفوظ بن بيّه (١٩٣٥م تنبدغة ، موريتانيا) داعية إسلاميّ، ورئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعيّ، ورئيس منتدى تعزيز السِّلْم في المجتمعات المسلمة ومؤسّسة الموطأ في أبوظبي، والنائب السابق لرئيس الاتّحاد العالميّ للعلماء المسلمين. ينظر: ويكيبيديا.

ثانيًا- الشيخ السديس[1]:

١- نَصُّ التعريف: استلّ الشيخُ السديس من تعريف الشيخ بن بيه تعريفًا آخر مطابقًا له في المضمون والمحتوى ومقيِّدًا إيّاه بلفظ الكتاب والسُّنَّة، فقال: «أنْ يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين مطمئنين على مكوّنات أصالتهم، وثقافتهم النوعيّة، ومنظومتهم الفكريّة المنبثقة من الكتاب والسُنَّة»[2].

٢- تحليل التعريف ومناقشته: إنَّ الإشكال الذي يَرِدُ على هذا التقييد أنّه بحاجةٍ إلى تضمينه بيانًا يُحقِّق للقارئ والسامع مفهومَ (السُّنّة) ومعناها؛ وذلك أنّ مصطلح (السُّنّة) مختلف في تعريفه بين المسلمين والمفكِّرين والمتشرِّعة وذلك تَبعًا لتحديد مفهومه المطابق للحقيقة الشرعيّة، وانتساب الفرق الإسلاميّة إلى كونهم أهل السُنّة والجماعة، ومن ثَمَّ فلماذا وقع السيف بينهم، وسفكوا دماءهم، وانتهبوا أموالهم، وهتكوا حُرمهم وأعراضهم، ولماذا يبحثون عن مخرَجاتٍ للأمن الفكريّ؟!!

ثالثًا- الدكتور حيدر الحيدر[3]:

---

(١) عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن محمّد السديس ويُعرَف بالسديس، هو الرئيس العامّ لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبويّ وإمام وخطيب بالحرم المكيّ الشريف. وُلِدَ في البكيرية بمنطقة القصيم عام ١٣٧٩ هـ.

(٢) الشريعة الإسلامية وأثرها في تعزيز الأمن الفكريّ، الشيخ عبد الرحمن السديس: ص١٩، الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

(٣) شخصية أمنيّة، قدم أطروحته لنيل درجة الدكتوراه إلى أكاديمية الشرطة في وزارة الداخلية - بمصر، والموسومة: بـ(الأمن الفكريّ في مواجهة المؤثِّرات الفكريّة) في سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

١- **نَصُّ التعريف**: «تأمين خلوّ أفكار وعقول أفراد المجتمع من كلِّ فكرٍ شائب ومعتقَدٍ خاطئ، ممّا قد يُشكِّلُ خطرًا على نظام المجتمع وأمنه، وبما يهدف إلى تحقيق الأمن والاستقرار في الحياة الاجتماعيّة»(١).

٢- **تحليل التعريف ومناقشته**: هنا نجد الباحث قد جمع بين الأصل والتأصيل للأمن دون التفريق بينهما؛ أي إنّه جمع بين الفكر والعقل وخُلوّهما من الشوائب، في حين أنّ الفكر نتاج العقل، ومن ثَمَّ فالأصلُ هو العقل والتأصيل هو الفكر.

وعليه يلزم بيان الضابطة التي تُحقِّق الأمن للفكر كي يتمكّن العقل من اتّخاذ القرار والتمييز بين الحقِّ والباطل وبين الثابت والمتغيِّر، وإلّا لا يمكن صيانة العقل من الأفكار التي تُهدِّد حياة الإنسان والأسرة والمجتمع بدون الضوابط المحقِّقة لذلك.

رابعًا- محمّد نصير:

١- **نَصُّ التعريف**: «النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع، لتجنُّب الأفراد شوائب عقديّة أو فكريّة أو نفسيّة، وتكون سببًا في انحراف السُّلوك، والأفكار، والأخلاق عن جادّة الصواب أو سببًا للإيقاع في المهالك»(٢).

٢- **تحليلُ التعريف ومناقشته**: إنَّ الإشكال الذي يرد على التعريف أنّه قرن عمل الدولة بالناس للخروج بنتائج تُحقِّق أمن الدولة وليس أمن الفكر،

(١) الأمن الفكريّ في مواجهة المؤثِّرات الفكرية، د. حيدر عبد الرحمن الحيدر: ص٣١٦.

(٢) الأمن والتنمية، محمّد نصير: ص١٢.

والسؤال المطروح إذا كان الإنسان يتقاطع مع عقيدة الدولة وسياستها في الرعيّة وظلمها لهم فما هو تكليفه الشرعيّ والأخلاقي؟ ومن ثَمَّ فلا الدولة ستنتفع من هذا النشاط في الوصول إلى أمنها وأمن المجتمع وذلك لوجود المعارضة في فكر المواطن، ولا المواطن سينتفع من هذا النشاط لأنّه يراه يصبُّ في منفعة الدولة وليس في منفعته، ولذا لم يضع الباحث ضابطة تُحقِّق الأمن الفكريّ للإنسان، وتُنقِّي الفكر من الشوائب عنه.

خامسًا- سعيد الوادعي[1]:

١- **نَصُّ التعريف**: «سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطيّة والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسيّة وتصوّره للكون»[2].

٢- **تحليل التعريف ومناقشته**: والإشكال الذي يَرِد على التعريف هو في أصل التعريف؛ أي كيف يصحُّ الجمع بين سلامة العقل والفكر والفهم؛ فالعقل هو الأصل فإذا كان مختلًّا انتفى التفكير السليم والفهم الصحيح!! ومن ثَمَّ لا وجود لهما، فكيف يتمُّ تحقيق سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه؟

والإشكال الآخر: ما المراد بـ(الوسطيّة) والكلُّ يعتقد أنه على الوسطيّة، وأنه على الحقِّ وإلّا لما انحرف عن الجادّة؟! والسؤال المطروح: كيف يتمُّ حفظ فكر الإنسان من الانحراف عن الجادّة أو الوسطيّة التي نصَّ عليها القرآنُ الكريم في قوله تعالى:

(١) داعيةٌ سُعوديّ حاصل على شهادة الدكتوراه.

(٢) الأمن الفكريّ الإسلاميّ، مجلّة الأمن والحياة، العدد: ١٨٧ لسنة ١٩٩٨م.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]؟

سادسًا- وعرّفه آخرون:

١- نَصُّ التعريف: «إنّ الأمن الفكريّ جزء من منظومة الأمن العامّ في المجتمع، بل هو ركيزة كلِّ أمنٍ وأساس لكلِّ استقرارٍ، وإنّ مبعثه ومظهره الالتزام بالآداب والضوابط الشرعيّة والمرعيّة والتي ينبغي أنْ يأخذ بها كلُّ فردٍ في المجتمع»[2].

٢- تحليل التعريف ومناقشته: الإشكال عليه أنّه تعريف شُموليّ؛ إذ كلُّ فرقةٍ من فرق المسلمين تدعو إلى الالتزام بالضوابط الشرعيّة، فلماذا هذا الاقتتال بين المسلمين وكلّ فرقة تكفِّرُ الأخرى أو بين المسلمين وغيرهم؛ ولماذا لم تستطع كثيرٌ من الدول خَلْقَ التعايش السِّلميّ بين أبناء المجتمع المتعدِّد الديانات والمذاهب والفِرق؟!

المسألة الثانية: تأثير الأيديولوجيا السياسيّة والمذهبيّة في بناء التعريف ومفهومه.

وهذه التعريفات للأمن الفكريّ وغيرها تُرشِد -إجمالًا- إلى مسألة واحدةٍ وهي حفظ كيان الدولة ومؤسّساتها، وضمان دوام قيامها بما يخدم الاستقرار للمواطنين الذين يعيشون تحت كنف هذه السلطة: وهذه المسألة وإنْ قُدِّمت

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) إستراتيجية الأمن الفكري، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول، لسنة ١٤٣٠هـ، إعداد: متعب بن شديد، نقلاً عن: صحيفة الجزيرة، العدد٩٧٢٢، الصادر في ٢٦ محرم الحرام، ١٤٢٠هـ: ص٤.

بمفاهيم علميّة حاول البعضُ فيها الجَمْعَ بين حفظ هيبة الدولة والمنهجيّة العلميّة، إلّا أنّها تتمحور ضمن هذه المسألة؛ ولا سيّما وإنّ الأسباب التي دعت إلى ظهور مصطلح (الأمن الفكريّ) كانت في الأساس تَعرُّض بعض الدول ومؤسّساتها إلى الضرر، فضلًا عن تنامي الحركات (التكفيريّة) التي لا ترى حُرمةً لهذه الدول والحكومات قاطبةً، بل إنّها ترى شرعيّة إسقاطها ومحاربتها؛ وذلك لانحصار (الشرعية) فيها كما تعتقد.

ولذا فهي تدعو بفكرها الدَّعويّ إلى قيام الإمارة الإسلاميّة و(الجهاد) من أجل تحقيقها بكلِّ السُّبل؛ ممّا دفع الدول والحكومات في العالم الإسلاميّ إلى التصدِّي لهذه الحركات والانتفاع منها في الوقت نفسه؛ وذلك لاستخدامها كذراعٍ ضدّ من اختلف معها في الفكر والمشروع السياسيّ، وإنْ صحّ التعبير في (المشروع الوجوديّ).

المسألة الثالثة: التعريف المختار لمصطلح الأمن الفكريّ ومرجعيّاته.

أوّلًا- التعريف المختار:

بعد هذا العرض والتحليل في مناقشة التعاريف فإنّ ما خلصتُ إليه -إنْ أردنا الأمن الفكريّ للمسلمين وبما يُحقِّق الاطمئنانَ في المكان الذي يعيش فيه المسلمُ وغيرُه- هو الرجوع إلى الثقلين، كتاب الله وعترة النبيِّ (صلواتُ الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين) ففيهما ضالّةُ كلِّ سائلٍ، ومقصدُ كلِّ مصلِحٍ رشيد، يريد الخيرَ للنّاس جميعًا.

فمنهما يؤخذ الأمن في جميع مواضعه؛ ابتداءً من الفكر، وانتهاء بساعة الاحتضار، والموت، والبرزخ، والنشور، والحساب، الذي لا يُضاهيه خوفٌ

في مسير الإنسان، بل هو أحوج ما يحتاج إليه؛ قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

وعليه: فإنّ التعريف المختار المنبثق من القرآن والسُّنّة الجامعة لما ورد عن النبيِّ (صلّى الله عليه وآهل بيته(عليهم السلام) للأمن الفكريّ وضابطة تحقيقه، هو:

«تحصينُ فكر الإنسان من الانحراف واللَّبْس والظنِّ بمعرفة الحقِّ وانقياده إلى أهله، وبمعرفة الباطل واجتنابه أهله ونكرانهم».

ثانيًا- المرجعية التاريخيّة لاختيار التعريف:

إنَّ الرجوع إلى التاريخ الإسلاميّ وما شهده المسلمون من حروب واقتتالٍ داخليّ احتاج إلى بيان السبيل المُوصِل إلى النجاة من الانحراف والوقوع في التهلكة، وأنّ خير ما يستعين به الإنسان في الوصول إلى السبيل هو السؤال الذي توجّه به الحرث بن حوط الليثيّ إلى أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام) بعد وقوع حرب الجمل، وقد شهد المسلمون أكبر ظاهرةٍ من ظواهر الإرهاب الفكريّ والجسديّ.

فقد خرجتْ زوج النبيِّ (صلّى الله عليه وآله) ومعها طلحةُ والزبيرُ وهما من الصحابة الأوائل لقتال إمام زمانهم وخليفة المسلمين بعد أنْ أَقرَّا له بالخلافة وبايعوه على ذلك؛ ومن ثَمَّ كيف لا يَحار المرءُ فيما يرى، وكيف لا يلتبس عليه الأمرُ، وكيف لا يقع في الهاوية فيكون شريكًا بسفك الدماء وهتك الأعراض وسلب الأموال؟!

(١) الأنبياء: ١٠٣.

ومن ثَمَّ فالمواقفُ التي يحتاج بها الإنسان إلى النجاة من الضلال والانحراف والهلاك متجدِّدةٌ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ؛ ومنها موقف الحرث بن حوط الليثيّ الذي حَارَ فكرُه من أهل الجمل، فقال لأمير المؤمنين الإمام عليٍّ (عليه السلام)، متسائلًا:

«أترى أنّ طلحةَ والزبيرَ وعائشةَ اجتمعوا على باطلٍ؟! فردَّ عليه قائلًا:

يا حارِ أنتَ ملبُوسٌ عليكَ، إنَّ الحقَّ والباطلَ لا يُعرَفانِ بأَقْدَارِ الرِّجالِ، وبإعمالِ الظنِّ، اِعرِفِ الحقَّ تَعْرِفْ أهلَهُ، واعْرِفِ البَاطِلَ تعرف أهلَهُ»[1].

وفي لفظٍ آخر رواه الشيخُ الطوسيّ (رحمه الله) بسنده عن بكر الهذليّ، قال: «دخل الحارث ابن حوط الليثيّ على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ (عليه السلام)، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أرى طلحة والزبيرَ وعائشةَ احتجُّوا إلّا على حَقٍّ؟ فقال:

يا حَارِثُ، إنَّك إنْ نظرتَ تَحْتَكَ ولم تنظرْ فوقَك جزتَ عَنِ الحقِّ، إنّ الحقَّ والباطلَ لا يُعرَفانِ بالنّاسِ، ولكن اعرفِ الحقَّ باتِّباع مَنِ اتَّبعه، والباطلَ باجتنابِ مَنِ اجتنبه.

قال: فهلَّا أكون كعبد الله بن عمر وسعد بن مالك؟

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): **إنّ عبدَ الله بن عُمر وسعدًا خذلَا الحقَّ ولم ينصُرا الباطلَ، متى كانا إمامين في الخير فيُتَّبعان**[2]**؟!**

(١) أنساب الأشراف للبلاذريّ: ج٢ ص٢٧٤، البيان والتبيان للجاحظ: ص٤٩١، تاريخ اليعقوبيّ: ج٢ ص٢١٠، نثر الدرّ، أبو سعد الآبيّ: ج١ ص١٨٦، نهج البلاغة: غيب كلامه (عليه السلام) : برقم ٢٦٢.

(٢) الأمالي، الصدوق: ص١٣٤.

الفصل الثاني:

موارد تأصيل الأمن الفكريّ

في القرآن الكريم.

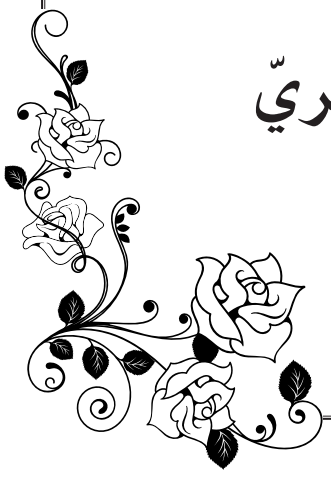

توطئة:

يندرج الأمنُ في القرآن الكريم ضمن مجموعةٍ من الآيات المباركة التي تناولت ضُروبًا مختلفة من الحياة الدنيويّة والآخرويّة، بل إنّ الباحث لَيجد القرآنَ الكريمَ قد اهتمّ بالأمن الفكريّ، والأمن النفسيّ، والأمن الاقتصاديّ، والأمن الاجتماعيّ، ولم يستثنِ من البيان الأمن الأُخرويّ.

إلّا أنّ وجهتنا في هذه الجولة بين أنوار القرآن الكريم، هي الآيات التي ورد فيها مفهوم الأمن الفكريّ، وموارد تحصيله لدى الإنسان، وكيفيّة تحقيقه ولا سيّما حياة الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) التي عرضها القرآن الكريم، إلّا أنّ تعدُّد أسمائهم وسيرتهم عبر الآيات المباركة يستلزم إيرادها جميعًا؛ مما يتعذّر مع منهاج الكتاب الذي وُضِعَ لأجل الاستشهاد ببعض المجتمعات وسعي الأنبياء لمواجهته عبر مجموعةٍ من الوسائل والأدوات التي استخدموها في تأصيل الأمن الفكريّ، وهي على النَّحْوِ الآتي:

المبحث الأول:

منهج الأنبياء (عليهم السلام) في تأصيل الأمن الفكريّ ومواجهة موانعه

ممّا لا ريب فيه أنّ القرآن الكريم يستعرض حياة الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) وفق أهدافٍ عدّة؛ وذلك بغية تحقيقها في المجتمعات الإنسانيّة وعلى مختلف الأمكنة والأزمنة، إلا أنّ هذه الأهداف تُجمِعُ على بيان حقيقةٍ ثابتة؛ وهي أنّ الأمن الفكريّ هو السبيل لنجاة الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة، وأنّه السبيل لتحقيق الحياة الكريمة التي تجمع الأمن الحياتيّ.

ومن ثَمَّ فقد جرت سيرة الأنبياء والمرسلين والأئمّة المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين) منذ نوح وإلى الحبيب المصطفى (صلّى الله عليه وآله) على ترسيخ الأمن الفكريّ، وأنّهم الأمناء على الشريعة وتنظيم حياة الإنسان وسلامته من الخوف الناتج عن نفوذ التطرّف والشذوذ الفكريّ؛ ممّا استلزم وضع مناهج عِدّة عمل عليها الأنبياء مستخدمين أدوات خاصّة تتناسب مع طبيعة المجتمعات التي بُعِثت فيها، وهي كالآتي:

المسألة الأولى: منهج نبيّ الله نوحٍ (عليه السلام) في تأصيل الأمن الفكريّ في قومه.

أوّلًا- الأصلُ الذي بُنيَ عليه الأمنُ الفكريّ في منهاج نبيّ الله نوحٍ مواجهةُ الوثنيّة:

تُرشِدنا الآياتُ المباركة التي تناولت سيرة نبيّ الله نوح (عليه السلام) إلى بيان الأصل الذي بنى عليه الأنبياء والمرسلون (عليه السلام) مفهومَ الأمن الفكريّ في مواجهة الوثنية؛ وذلك عبر الحوار الفكريّ وتنقيته منها، وإنّ أهم سُبل المواجهة التي يَرُدُّ بها أصحابُ الفكر الملوّث بالوثنيّة هو تكذيب الرُّسل.

ومن ثَمَّ ترشِدُ الآياتُ الكريمة إلى أنّ المرتكز الذي يرتكز عليه الدفاع عن التوحيد هو إثبات صفة الأمن، بمعنى إثبات أنّ الرسل (عليهم السلام) هم أُمناء، ومَنْ كان بهذه الصفة فهو لا يخون ولا يكذب، بمعنى أدقّ: إنّ الإنسان حينما ينصرف ذهنه إلى الشُّبهات وينحرف عن الحقّ فإنّه يكذب على نفسه ويحاول تصديق الأوهام التي عَلقت بفكره وأخطرها الشِّركُ بالله تعالى وإفرازاته؛ عبر تكذيب الرسل والأنبياء والأئمة (عليهم السلام) وما جاؤوا به ودعوا إليه، ففي مواجهة نبيِّ الله نوح تتحدّث الآياتُ بوضوح عن هذه الحقيقة؛ قال عَزّ وجَلّ في سورة الأعراف: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ**﴾[1].

وفي سورة الشعراء بيانٌ آخر، قال سبحانه: ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ**﴾[2].

(١) الأعراف: ٥٩-٦٤.

(٢) الشعراء: ١٠٥ - ١٠٩.

والآيات المباركة تُرشِدُ إلى العنصر الأساس في انعدام الأمن الفكريّ وحلول التطرُّف مكانه؛ عبر تكذيب نبيِّ الله نوح (عليه السلام)، ونبذهم لنُصحه لهم على الرغم من التصريح لهم بأنّه ناصح أمين غير غاش لهم فيما يدعوهم إليه ولما يُنجيهم من الهلاك.

ثانيًا- عنصرا التطرّف الفكريّ في قوم نوح:

ينتقل القرآن الكريم إلى بيان التطرف الفكريّ في قوم نوح عبر بيان المقايسة بينهم وبين مَنِ اتّبع نوحًا (عليه السلام)؛ وهم البُسطاء من الناس؛ ممّا يكشف أنّ الترف الدُّنيويّ والأنا النفسيّة عنصران أساسان في نشوء التطرّف، واتبِّاع الباطل والغوص في الضلال، قال تعالى: ﴿**قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[1].

ومن ثَمَّ فإنّ استحقاقهم للهلاك كان مردُّه إلى تنامي التطرُّف الفكريّ بإزاء الأمن الفكريّ بتكذيبهم نوحٍ بوصفه أمينًا على هَدْيهم ورُشدهم ونجاتهم عبر الإيمان بأنّه رسول ربّ العالمين، وذلك بفعل الترف والأنا الشخصيّة.

(١) الشعراء: ١١١ - ١٢١.

المسألة الثانية: منهج نبيّ الله هود (عليه السلام) في تأصيل الأمن الفكريّ في قوم عادٍ ومواجهة موانعه.

أوّلًا- الأصل الذي بُنيَ عليه الأمنُ الفكريّ في منهج نبيّ الله هود (عليه السلام):

في الحقبة الزمنيّة التي تلت زمن نبيّ الله نوحٍ (عليه السلام) بعث الله تعالى نبيَّه هودًا إلى قوم عادٍ لتبدأ الرحلة من جديد في بَعْثِ الأنبياء؛ لغرض إرشاد الناس إلى جادّة الحقِّ والصواب، وإرجاعهم إلى التوحيد وإلى ما يُنجيهم من الهلاك والعذاب في الدنيا والآخرة وذلك لمخالفتهم شريعة خالقهم والمنعم عليهم بالحياة وهو الله تعالى، فاقتضت رحمتُه جَلّ شأنُه أنْ يُدرك عبادَهُ فيرسل لهم رُسلَه ويبعث إليهم أنبياءه ليُنجيهم من كيد الشيطان الرجيم.

ومن ثَمَّ تتحدّث الآياتُ المباركة في سورة الأعراف عن تتابع الرحمة في بَعْثِ نبيِّ الله هودٍ إلى قوم عاد، وتستعرض منهاجَهُ في تأصيل الأمن الفكريّ في قومه، قال تعالى: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾[1].

والآيات واضحة الدلالة في بيان منهاجه (عليه السلام) في محاربة الفكر المتطرّف المكنون في الوثنيّة، أمّا موانع الأمن الفكريّ، فهي:

ثانيًا- موانع الأمن الفكريّ في قوم عاد:

في موارد منع تحقيق الأمن الفكريّ يعرض القرآنُ الكريم دعوةَ نبيِّ الله

(١) الأعراف: ٦٥-٦٨.

هودٍ لقومه وما كان جوابهم على دعوته، ومن ثَمَّ تُظهِرُ الآيات الأدواتِ لتأصيل الأمن الفكريّ وموانع تحقيقه، قال تعالى:

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ * يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[1].

ونلاحظ هنا الأدوات، وهي (الدعوة إلى عبادة الله وعدم الإشراك به، صدق الدعوة فهو(عليه السلام) لم يطلب أجرًا في نُصحه لهم، الدعوة إلى الاستغفار والتوبة وبيان آثارهما) .أمّا الموانع لهذه الأدوات، فهي(الافتراء، الجهل وترك التعقُّل، الإجرام).

أمّا جوابهم وردُّهم لهذه الدعوة التي تضمّنت إظهارًا للأدوات وموانع تحقيقها، متلمسه في قوله تعالى: **﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾**[2].

والآيات التي مرّ ذكرُها في سورَتي الأعراف وهود تُحدِّد عوامل غلبة الفكر المتطرِّف؛ وهي (الإصرار على الذنب، والتشبُّث بالوثنيّة، اتِّهام النبيِّ هود بالسفاهة مرّة وأُخرى بالتكذيب وأخرى معاقبة الآلهة له) ممّا لزم

(١) هود: ٥٠-٥٢.

(٢) هود: ٥٣-٥٥.

البراءة منهم، فاستوجبوا نزول العذاب، قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[1]. وتكشف الآية المباركة عن المانع الأساس في منع تحقيق الأمن الفكريّ وما تبعه من نتائج في استحقاق الهلاك هو اتباعهم كلَّ جبارٍ عنيد المصرّ على الإثم والعدوان.

المسألة الثالثة: منهج نبيّ الله صالحٍ (عليه السلام) في تأصيل الأمن الفكريّ في قوم ثمود ومواجهة موانعه.

أوّلًا- الأصل في تحقيق الأمن الفكريّ في قوم صالح (عليه السلام):

في قوم نبيّ الله صالحٍ (عليه السلام) يستعرض القرآن الكريم العنصرَ الأساس في تحقيق الأمن الفكريّ؛ وهو التصديق بأنّه رسول أمين من الله تعالى إليهم؛ أي إنّ الأصل في الدعوة هو الصِّدق في المدَّعى، ممّا قدَّم أنموذجًا آخرَ لتأصيل القرآن للأمن الفكريّ، قال تعالى:

﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾[2].

(١) هود: ٥٩.

(٢) الشعراء: ١٤١ -١٥٢.

ثانيًا- العامل الأساس في فقدان الأمن الفكريّ في قوم صالح (عليه السلام) هم المسرفون:

تُرشِدُ الآياتُ إلى أنّ العامل الأساس في فقدان الأمن الفكريّ وهو وجود طبقةٍ اجتماعيّة وسمها القرآن بـ(المسرفين)، وأنّ سماتهم الفساد في الأرض وعدم الإصلاح، ونشر ثقافة التضليل عبر التزيين لقومهم بترك أرضهم والتوجّه إلى الجبال واتّخاذها مَسكنًا لا لشيءٍ إلّا لغرض الترف الذي ينماز به المفسدون في الأرض؛ ولذا يتعجّبُ نبيُّ الله صالح من تأثُّرهم بهذه الثقافة وتركهم سُبل الأمن التي هَيّئها الله لهم، فيقول: ﴿**أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ**﴾.

ومن ثَمَّ فإنّ النتيجة الطبيعيّة في اتّباع الفكر المتطرِّف هو الهلاك والدمار؛ وذلك أنْ الأمور في اتبّاع الفكر الضالّ لا تنتهي في مخالفة أوامر الشريعة، وإنّما في هَتْك الحرمات والمقدّسات فيُعجِّلوا بذلك في هلاكهم وأهليهم وما يملكون.

المسألة الرابعة: منهج نبيّ الله لوطٍ (عليه السلام) في تأصيل الأمن الفكريّ ومواجهة موانعه.

في سيرة نبيِّ الله لوطٍ (عليه السلام) يعرض لنا القرآن الكريم أنموذجًا آخر من موارد منع تحقيق الأمن الفكريّ الذي سرى في المجتمع، قال تعالى:

﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ**﴾[1].

(١) الشعراء: ١٦٠ - ١٦١.

أوّلًا- الأصل في تحقيق الأمن الفكريّ في قوم لوط:

مثلما جرى الأمر في قوم صالح كذا يجري مجراه في قوم لوط (عليه السلام)؛ أي التصديق بأنّه رسول أمين من الله تعالى إليهم، أي إنّ الأصل في الدعوة هو الصِّدق في المدَّعى، ومن ثَمَّ نجد أنّ قوله تعالى: ﴿**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**﴾ قد تكرّر في ذكر الأنبياء (عليهم السلام).

ثانيًا- موانع تحقيق الأمن الفكريّ في قوم نبيِّ الله لُوطٍ (عليه السلام):

وتُحدِّد الآيات المباركة سِمةَ التردِّي الفطريّ والأخلاقيّ في قوم لوط؛ عبر الانحراف الفكريّ وانعكاسه على تغيير طبيعة الإنسان وتحوّله إلى الطبيعة البهيميّة، بل لماَ هو أسفل من البهيميّة؛ وذلك إنّها لا تخالف طبيعتها الفطريّة التي خُلِقت عليها في اختيار العنصر المخالف لها في الذكوريّة أو الأنثويّة، بل هي أرشد من الإنسان المثلي في هذه الحالة؛ وذلك أنّ البهائم تسلك الشهوة لهدف حفظ النوع والنسل والحفاظ على جنسها من الانقراض، ومن ثَمَّ ما الهدف من مخالفة الطبيعة البشريّة في المثليّة الجنسيّة -والعياذ بالله تعالى- سوى التردّي إلى ما هو أسفل وأخزى من البهيمة.

إذن: تعرض الآياتُ الكاشفة عن طبيعة قوم لوط (عليه السلام) العِلّةَ الموصلة إلى انهيار الأمن الفكريّ ونتائجه في انسلاخ الإنسان من فطرته البشريّة، فنالوا بذلك التجرِّي على الله تعالى والقيم الإنسانيّة الهالكة ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[1].

(١) الشعراء:١٧٢.

المسألة الخامسة: منهج نبيّ الله شُعيبٍ (عليه السلام) في تأصيل الأمن الفكريّ في قوم مدين ومواجهة موانعه.

أولًا- الأصل في تحقيق الأمن الفكريّ في قوم شعيب (عليه السلام):

في الأنموذج الآخر الذي يعرضه القرآنُ الكريم في انعدام الأمن الفكريّ وتفشّي التطرّف القِيميّ والفكريّ في قوم مدين وهم قومُ نبيِّ الله شعيبٍ (عليه السلام)، فيقول عزّ وجلّ: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ**﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿**كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ**﴾[2].

فتبتدأ الآيات المباركة ببيان أصول الأمن الفكريّ عبر التصديق بدعوة شعيب وطاعته واتِّباعه وأنّه لَأمين عليهم وحريصٌ على نجاتهم، ثمّ يُحدِّد لهم أُصولَ التطرّف وانعدام الأمن الفكريّ، فيقول سبحانه على لسان نبيه شعيب: ﴿**أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ**﴾[3].

ثانيًا- موانع تحقيق الأمن الفكريّ في قوم مدين:

والآيات المباركة تستعرض جملةً من الأدوات للأمن الفكريّ عبر ثلاثة أوامر

(١) هود: ٨٤.

(٢) الشعراء: ١٦٧ - ١٦٩.

(٣) الشعراء: ١٨١ - ١٨٤.

وثلاثة نواهي، فأمّا الأوامر فهي: ﴿**أَوْفُوا الْكَيْلَ**﴾، ﴿ **وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ**﴾، ﴿**وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ**..﴾، وأمّا النواهي فهي: ﴿**وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ**﴾، ﴿**وَلَا تَبْخَسُوا**﴾، ﴿**وَلَا تَعْثَوْا**﴾؛ وهي تُرشِدُ بذاك إلى العوامل المسبِّبة لمنع الأمن الفكريّ وانحياز الفكر إلى التطرّف في تكذيبهم نبيَّ الله شُعيبًا (عليه السلام)؛ ممّا يُقدِّم كاشفيّةً عن آثار الأفعال التي يرتكبها الناسُ فتسوقهم إلى الضياع والهلاك كما وقع للأمم السابقة؛ أي إنّ تكذيب الأنبياء والرسل(عليهم السلام) هو من أخطر ما يجرُّ الأُمم إلى الهلاك، وممّا لا ريبَ فيه أنّ التكذيبَ لا ينحصر في بيان الحلال والحرام وإنّما مطلق الأوامر والنواهي التي تَرِدُ على ألسنتهم، ومنهم نبيُّنا محمّد (صلّى الله عليه وآله)؛ فحال من كذّبه مع المنافقين الذين أنكروا وكذّبوا أوامره ونواهيه ولا سيّما فيما ارتبط بأهل بيته (عليهم السلام) وذلك بوصفهم حُجَج الله تعالى على خلقه وأُمنائه على شرعه، وقد تحدّث القرآن والسنّة النبويّة في مواضع كثيرة وأظهرت آثارهم في تردِّي الأُمّة وهلاك البشر والحجر.

ومن ثَمَّ تستعرض الآياتُ المباركة أنموذجًا جديدًا مرَّ به قومُ نبيِّ الله شعيبٍ؛ يتمثّلُ في انعدام الأمن الفكريّ، وتفشِّي التطرّف الناشئ من التمسُّك بالمصالح الشخصيّة وإيثار الدنيا على الآخرة عبر التمسُّك بالمال دون الأخذ بما قنّنته الشريعةُ في التعامل به وحفظ حقوق الناس فأهلكهم الله، وما تمسُّكهم بالوثنيّة إلّا لغرض التصرُّف بأموالهم بحسب ما يشتهون ويرغبون؛ قال سبحانه: ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾[1].

(١) هود:٨٢.

المبحث الثاني:

سِمة التكذيب التي سَرَتْ في الأُمم السابقة وآثارها في نشر التطرُّف الفكريّ ووسائل مواجهته من أُولي العزم الثلاثة إبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام).

بعد العرض القرآنيّ الذي مرّ آنفًا في حياة الأُمم السابقة وما أصابها من ابتلاءات وهلاك بفعل سِمَة التكذيب التي سَرَتْ فيها، وما تعرّض له الأنبياءُ والمرسلين(عليهم السلام)، ودعوتهم إلى التوحيد والإيمان بالله تعالى، يُخصِّصُ القرآنُ الكريم جانبًا مهمًّا من جوانب التبليغ النبويّ في الأُمم السابقة، ويختار لنا أنموذجًا خاصًّا تنامت فيه ضروب الوثنيّة فضلًا عن السِّمات النفسيّة والاجتماعيّة التي تواشجت مع هذه الوثنيّة؛ وهو ما نراه ماثلًا في زمن أُولي العزم من بعد نبيِّ الله نوحٍ (عليه السلام): أي المرسلين الثلاثة الذين ارتقوا إلى هذه الرتبة وهم نبيُّ الله إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وموسى الكليم، وعيسى روح الله.

وذلك لما انمازت به تلك الفترات والحقب الزمنيّة من تطوّر وتنامٍ للوثنيّة وتعدُّد سماتها وضُروبها ومناشئها فضلا عن انتشارها الكبير في البلاد، ممّا استلزم أنْ يكون الوعي والرُّشد الإنسانيّ وتأصيل الأمن الفكريّ في هذه الحقب له سماتُه وقادتُه؛ الذين استطاعوا التأثير والمواجهة لهذا الشُّذوذ والتطرّف الفكريّ وما ترتّب عليه من آثارٍ نفسيّة واجتماعيّة وعقديّة عسيرة.

ومن ثَمَّ ليكون عملهم مُمهِّدًا لعملية إنماء الوعي الفكريّ وتنشيطه ودفعه نحو التحرُّر من قيود الوثنيّة التي تراكمت نتاجاتُها عبر القرون العديدة،

وتنوّعت حيثياتها ومعطياتها ومناهلها الفكريّة التي ضربت شرقَ الأرض وغربها، لتكون أنماطًا وضُروبًا وأنساقًا فكريّة وعقديّة متنوِّعة؛ مُشكِّلةً بذاك صلابةً في العقل البشريّ ليس لها مثيل في زمنٍ من الأزمنة السالفة والسابقة لزمن سيّد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمّد (صلّى الله عليه وآله)؛ ممّا تطلّب تخصيص مقصدٍ مستقلٍّ يُظهرُ جُهده (صلّى الله عليه وآله) في محاربة الوعي المتطرّف، ولنُتْبعه بمبحثٍ مستقلٍّ ندرس فيه الجهود التي بذلها سيّدُ الخلق (صلّى الله عليه وآله) في نجاة الناس أجمعين من براثن الوثنيّة وتعدُّد أنماطها وأنساقها الفكريّة والثقافيّة في زمانه وفي كلِّ زمان.

فأمّا جهود أُولي العزم الثلاثة فكانت على النَّحْوِ الآتي:

المسألة الأولى: مواجهةُ نبي الله إبراهيم الخليل للفكر المتطرِّف وسَعيه في تأصيل الأمن الفكريّ.

أولًا- الولادة والنشأة:

يعرض القرآن الكريم جانبًا من الحياة الفكريّة التي كانت سائدة في أرض بابل مولد نبيّ الله إبراهيم (عليه السلام) وموضع نشأته وصباه ومحلّ تكليفه بالتبليغ، وإرجاع الإنسان إلى التوحيد.

ثانيًا- الأفكار السائدة في زمانه:

تتعدّد المعتقدات في المجتمع البابليّ بين الوثنيّة المتجلِّية في عبادة الأصنام، وبين عبادة الكواكب واتّخاذها آلهةً متعدِّدةً بين الناس؛ أي لم يكن أهلُ بابل جميعًا على معتقدٍ واحد، فمنهم مَن يَعتقد بالأصنام، ومنهم مَن يعتقد بالشمس، وآخرون يرون القمرَ أو الزُّهرةَ إلهين؛ ومن ثَمَّ فقد واجه نبيّ الله

إبراهيم الخليل (عليه السلام) أفكارًا ومعطياتٍ متعدِّدة كوّنت لدى المجتمع البابليّ مجموعة من المعتقدات التي لعبت الميثولوجيا فيها دورًا مهمًّا إن لم يكن هو الدور الأساس[1]؛ ممّا شكَّل فكرًا منحرفًا عن جادّة التوحيد ومعطياته ولوازمه التي دَعَتْ إليه الأنبياء (عليهم السلام)، لا سيّما نبيّ الله إبراهيم الخليل (عليه السلام).

ثالثًا- تنشيط الوعي الفكريّ لتغيير الواقع المتردّي لأهل زمانه:

إنّ اختلاف هذه المعتقدات في زمانه (عليه السلام) وتعدُّدَها أستلزم منه موقفًا فكريًّا حازمًا وأن يُقدِّم آليّاتٍ تُسهِمُ في تنشيط الوعي الفكريّ وتقود إلى الأمن الفكريّ الشامل والدقيق في آنٍ واحد لأبناء قومه وأهل زمانه؛ كي يُحقّق هدفه المنشود والمكلَّف به؛ وهو عبادة الله الواحد الأحد؛ أي مواجهة كلِّ معتقدٍ من هذه المعتقدات بما يناسبه من فكرٍ مضادّ يُحقِّق سلامة الفكر وأمنه من الانحراف.

رابعًا- الرؤية القرآنيّة الكاشفة عن منهجه في الأمن الفكريّ:

لقد أشارت جملةٌ من الآيات المباركة إلى بيان المنهج الإبراهيميّ في تحقيق الأمن الفكريّ ومواجهة تلك الأفكار المنحرفة عن جادّة التوحيد، ونبذ الوثنيّة بوصفها أفكارًا مُناقِضة لسلامة العقل، وتسليمه للبراهين الآخذة بالعقل إلى الله عَزّ وَجَلّ الخالق والمدبِّر لشؤون خلقه في أرزاقهم وحياتهم ومماتهم وهو العزيز الحكيم، قال تعالى:

(١) للمزيد من الاطلاع ينظر: تكسير الأصنام بين تصريح النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) وتعتيم البخاريّ للمؤلف.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وهذه الآيات المباركة تُرشد إلى مجموعةٍ من النتائج؛ وهي على النَّحْوِ الآتي:

١- تعدُّد المعتقدات في المجتمع الذي بُعث فيه نبيّ الله إبراهيم الخليل (عليه السلام).

٢- بيان أثر العقل في الاستدلال عبر التأمُّل والتفكُّر في صفات هذه الآلهة كالقمر والشمس، ومخالفتها للصفات الواجبة في المعبود؛ كنفي الحركة والزوال والتغيير من حالٍ إلى حالٍ، وغير ذلك من الصفات التي يتصف بها المخلوقُ وليس الخالق جلّ شأنه.

ولذلك: كانت نتيجة هذا الاستدلال هي الأمن الفكريّ عبر البراءة من هذه الأفكار المنحرفة والعقائد الضالّة التي لا تهدي إلى الرُّشد والصواب.

(١) الأنعام: ٧٤ - ٨١.

٣- تُظهِر الآيات المباركة حالةً أخرى من الحالات المرتبطة بالفكر وهي (المحاججة) وهي: «المفاعلة بين الجانبين؛ أي: أنْ يُقدّم كلٌّ منهما حُجّته ليغلب بها الآخر»[١].

٤- إنّ المحاججة كانت في التوحيد وهو مدار حركة الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) وأساس دعوتهم، فبالتوحيد يبدؤون وعليه يختمون حياتهم.

٥- إنّ الإيمان الحقيقيّ المرتكز على الإخلاص في التوحيد يُحقِّق الأمن الفكريّ وبخلافه ينعدم الاطمئنان ويَسري الخوف إلى النفس.

٦- إنّ الأمن الفكريّ يبدأ بالنفس ويعمّ المجتمع الذي التزم التوحيد؛ ولذا قال لهم:

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

ثمَّ يُقدِّم لنا إبراهيم الخليل (عليه السلام) قاعدةً عامّة في تحقيق الأمن الفكريّ لدى الإنسان، وهو ما سنعرض له في المقصد الآتي:

خامسًا- موقفه (عليه السلام) من ظاهرة الشكّ في الله تعالى:

١- التأمُّل في موقف نبيِّ الله إبراهيم (عليه السلام) من المشكِّكين.

يقودنا نبيُّ الله إبراهيم الخليل (عليه السلام) في حواره الفكريّ والعقديّ مع قومه الذين أُصيبوا بالانحراف والتطرُّف الناتج عن سُوء الاستدلال واعوجاج الذهن من خلال التأثرُّ ببعض المقدمات السلبيّة في تكوين المعتقد؛

(١) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد المنعم: ج١ ص٥٥١.

(٢) الأنعام: ٨١.

كما في عقيدتهم بالكواكب وتأثيرها، أو الانشغال بنورها وضوئها وحجمها، وإلى غير ذلك من الآثار والصفات التي تُصيب العقلَ بالشكّ فلا يهتدي إلى الاطمئنان، ومن ثَمَّ فهو مصاب بالخوف الذي يُؤرِّق مضجعه ويدفعه إلى اتخاذ وسائل عِدّة؛ ظنًّا منه أنّها ستُعيد إلى نفسه الاطمئنان والهدوء، لكنه لم يزل في تردٍ وازدياد من الخوف.

٢- الأمن الفكريّ ينافي الشكَّ في الله تعالى.

تُرشدنا الآية المباركة والتجربة الفكريّة التي مرَّ بها قومُ إبراهيم الخليل (عليه السلام) إلى قاعدةٍ ثابتةٍ في تحقيق الأمن الفكريّ؛ وهي:

(إنّ الفكرَ لن ينال الأمن بوجود الشكّ بالله)، وهو ما كشفت عنه الآية المباركة؛ قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾[١].

وذلك أنّ ظلم العقل بالشكّ سيجرّ إلى ظُلمٍ أكبر؛ أي مَن شَكّ بالله تعالى فسيشكّ بالأنبياء (عليهم السلام)، ومَن شَكّ بهم شَكّ بما دعوا إليه فيُكذّبهم ويحاربهم ويستهزئ بهم، وحينها يحدث الانقلاب في الأُمم، كما يحدثنا القرآن الكريم عن حركة التاريخ وسننه في الأُمم السابقة[٢].

قال تعالى: ﴿**تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ**﴾[٣].

---

(١) الأنعام: ٨٢.

(٢) لمزيد من الاطلاع ينظر: حركة التاريخ وسُننه عند عليٍّ وفاطمةَ (عليهما السلام)، للمؤلّف.

(٣) الأعراف: ١٠١.

المسألة الثانية: مواجهة نبيِّ الله موسى الكليم (عليه السلام) للفكر المتطرِّف وسعيه في تأصيل الأمن الفكريّ.

أولًا- تعاظُم المفاهيم المتطرِّفة وتنامي الوثنية وتعددُّ مناشئها وتنوع صورها في زمن موسى (عليه السلام):

إنّ دراسة الحياة الفكريّة والعقدية للمجتمعات التي بُعِثَ فيها الأنبياء (عليهم السلام) ولا سيّما أولوا العزم الذين عزموا على مواصلة الجهاد في مواجهة الفكر المتطرّف، والأخذ بالعقل البشريّ إلى بَرِّ الأمان، يكشفُ عن تعاظُم المفاهيم وتنامي الوثنيّة وتعدُّد مناشئها وتنوّع صُورها في هذه الأزمنة؛ وهو ما انماز به مجتمع بني إسرائيل الذي بُعِث فيه موسى (عليه السلام)؛ ممّا يقدِّم تصوّرًا ذهنيًّا عن العِلّة التي جعلت القرآن الكريم يُورِدُ ذِكرَه وقومَهُ في آياتٍ كثيرةٍ، بل لا نبالغ -ولعلّه هو الثابت- أنّ الآيات التي تحدّثت عن موسى الكليم (عليه السلام) هو الأوفر نصيبًا وعددًا من بين الآيات التي تحدّثت عن الأنبياء (عليهم السلام)؛ والعلّة فيه -كما أسلفنا- هو تعاظُم المفاهيم وتنامي الوثنيّة والشكّ بالله تعالى وبالنبوَّة في آنٍ واحد، بل لعلّ من أبرز مظاهر التطرّف الفكريّ وتغلل الوثنيّة في المجتمعات كافّة هو تكذيب الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)؛ سواء في أصل النبوَّة وأنّ هذا النبيّ أو ذاك هو المعنيّ بفضل الله تعالى، أو عبر جزئيّات الشريعة في الأوامر والنواهي ولا سيّما فيما يَختصُّ بالإنابة والخلافة من بعده؛ وذلك لما يتلازم مع هذا المنصب من سلطة وواجهة وحظوة ومنزلة بين الناس.

ثانيًا- منزلة الخلافة من أبرز مظاهر تكذيب الأنبياء وتجلّيها في الحياة الفكريّة لبني إسرائيل:

ومن ثَمَّ بقيُ أمر الخلافة للنبوّة من أبرز المسائل التي كُذّب بها الأنبياء ولا سيّما في زمن موسى الكليم الذي اقترن ومنذ بدء النبوَّة بالشراكة لقوله (عليه السلام): ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[1] والخليفة للنبيّ في حياته كما في الخروج للميقات أو لما بعد موته.

ومن ثَمَّ تعرضُ الآياتُ المباركة في الحياة الفكريّة لعصر موسى (عليه السلام) ضَرْبين من المواجهة التي جرت بين نبيِّ الله وقومه؛ الأولى في أصل البَعْث والاختصاص بالنبوَّة له ولأخيه هارون، والثانية في الاستخلاف من بعده، وقد بيّن القرآنُ في مواضع عِدّة حيثيّات المواجهة الأولى والثانية وكيفيّة أسلوبه (عليه السلام) ومنهاجه ووسائله المستخدمة لمواجهة التطرّف الفكريّ ونقل الناس إلى الأمن الفكريّ والإقرار بالتوحيد والنبوَّة وما جاءت به من شريعة.

ثالثًا- مواجهة موسى الكليم (عليه السلام) للتطرّف الفكريّ وتعدُّد أنماطه في محاربة أصل النبوَّة:

تُرشد الآياتُ المباركة إلى أنّ مشروع التطرّف الفكريّ الذي نشأ في قوم موسى كان مُشابهًا -إلى حدٍّ كبير- قومَ نبيِّ الله إبراهيم (عليه السلام)؛ فكلاهما قد ابتدأ في مواجهة التطرّف مع سلطان زمانه وإنْ كانت المقدّمات في المواجهة مع قومهما عبر جملةٍ من التحديّات والحكمة في ذلك هي أنْ

(١) طه: ٣٣.

يكـون لـكلٍّ منهـما حضـوره الشـخصيّ والإعلامـيّ في قومـه؛ فإبراهيـم (عليـه السـلام) ذاع صيتُـه بـين قومـه في تكسـير الأصنـام ثـمّ انتقـل إلى مواجهـة النمـرود، وفي كِلا الحالـين كان الأصـل في المواجهـة هـو التطرُّف الفكـريّ في انتشـار الوثنيّـة في أرض بابـل، والحـال يجـري مجـراه مـع موسـى الكليـم (عليـه السـلام)، فقـد ضـاع صيتُـه في أرض مـصر عـبر نجاتـه مـن قتـل المواليـد ورميـه في البحـر بـما أوحى الله عـزَّ وجـلَّ إلى أُمّـه، ثـم نشـأته في قـصر فرعـون وهروبـه، وحادثـة القتـل التـي جـرت لـه وخروجـه هاربًـا يترقّـب، ومـروره بالبئـر واسـتقائه لابنتَـي نبـيِّ الله شـعيب (عليـه السـلام)، ثـم تكليفـه بالنبـوَّة لَّـما سـار بأهلـه وقـد أَنِـسَ نـارًا ﴿**بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾[1].

ومـن ثَـمَّ فـأنّ هـذه المجريـات كلّهـا كانـت مؤهِّلـةً لمـا بعـد التكليـف بالنبـوَّة ومواجهـة الوثنيّـة وتعـدُّد صنوفهـا، حتّـى إذا جئنـا إلى مرحلـة المواجهـة بينـه وبـين فرعـون ومـا أنشـأته مـن فِكـر منحـرف في ادِّعـاء الربوبيّـة، وتملُّكـه لعـددٍ مـن الوسـائل الماديّـة والفكريّـة والتثقيفيّـة عـلى بـثِّ هـذا المعتقـد عـبر السـلطان وسـطوته والسـحر ووهمـه وتأثـيره عـلى النـاس، كانـت المرحلـة الأسـاس في المواجهـة والتـي ارتكـزت -بحسـب مـا يعرضـه القـرآن الكريـم- عـلى عـدد مـن الوسـائل؛ وهـي:

١- وسيلة القول اللَّيِّن في مواجهة التطرّف الفكريّ.

في الوسـيلة الأولى التـي يعرضهـا القـرآن الكريـم في مواجهـة الفكـر المتطـرّف كانـت القـول اللَّـيِّن وهـو أمـرٌ في غايـة الأهميّـة؛ وذلـك أنّ الفكـر لا يقـوم عـبر

(١) طه: ١٢.

القتل والسجن والتعذيب وغيرها، وإنّما عبر وسيلة القول اللَّيِّن؛ فهو الأنفذ في العقل والأصوب في تصحيح مبانيه وتعديلها، ومن ثَمَّ يجعل القرآن وسيلةَ اللِّين في الخطاب هي الأساس في الوصول إلى الأمن الفكريّ.

قال تعالى: ﴿**اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[1].

٢- وسيلة البراهين العقليّة في إثبات التوحيد.

في الوسيلة الثانية التي تلي الوسيلة السابقة من حيث التدرُّج في منهج مواجهة الفكر المتطرّف هي وسيلة البراهين العقليّة في الوصول إلى إقرار العقل بالتوحيد؛ إذ يعرض القرآن هذه الوسيلة على لسان نبيِّ الله موسى وقد توجّه إليه فرعون مُتسائلًا ومُحاجِجًا إيّاهما: ﴿**قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى * وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى**﴾[2]. وتكشف الآيات التي تلاها موسى الكليم (عليه السلام) عن أصل الحوار الفكريّ بين نبيِّ الله موسى وهارون (عليهما السلام) وفرعون، والمرتكز على أنّ الإقرار بالنبوَّة يستلزم الإقرار

(١) طه: ٤٢-٤٤.

(٢) طه: ٤٩-٥٦.

بالتوحيد؛ فمَن آمن بالنبوَّة سيؤمن بالتوحيد ومن ثَمَّ لم يزل الصراع الفكريّ بين التطرّف والأمن يرتكز على التصديق بالأنبياء وما جاءت به ودعتْ إليه، ومن هنا نرى تقنين هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[1]، وأنّ الذين آمنوا بالنبيِّ لا يمكن لهم أن يتردَّدوا فيما جاء به؛ ومن ثَمَّ يبقى المدار في التصدِيق والإيمان بالتوحيد ملازمًا للتصديق بما دعا إليه النبيُّ أو الرسول (سلام الله عليهم أجمعين) فكلاهما لا ينفكّان عن بعضهما البعض؛ سواء كان هذا التلازم بينهما في حياته أو بعد مماته، ولا سيّما أنّ عددًا من الآيات قد نصَّتْ على هذا الترابط؛ قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[2]؛ أي إنّ تقوى الله تعالى تقودُ إلى الأخذ بما يدعو إليه الصادقون، وقوله سبحانه: ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[3]؛ أي في الدعوة إلى التوحيد والنبوَّة والإمامة.

٣- وسيلة عرض الآيات المؤيِّدة للنبوَّة وعَجزُ المكذِّب في نكرانها.

ممّا يعرضه القرآن الكريم في وسائل الأمن الفكريّ في سيرة نبيِّ الله موسى الكليم هي وسيلة الآيات والمعاجز التي يمدُّ اللهُ تعالى بها الأنبياء (عليه السلام)؛ ولا سيّما ما تعلّق بموسى الكليم (عليه السلام)؛ وذلك لمواجهة جملةٍ من التحديات الفكريّة والعقديّة النافذة في عقول قومه، وكما

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) التوبة: ١٦.

(٣) الزمر: ٣٣.

اسلفنا فإنّه يواجه مُدّعي الربوبيّة أي فرعون وجمهور السَّحَرة الذين تعدّدتْ مبانيهم الفكريّة بين الاعتقاد بالآلهة وكهنة المعابد، وبين مُدَّعى فرعون وما يعتقدونه في آثار السحر ونفوذهم وخضوع الناس إليهم، ومن ثَمَّ استلزم هذا التنوع من التطرّف الفكريّ وسائلَ عِدّة للمواجهة تتناسب مع حجم المؤثِّرات الفكريّة التي نفذت إلى عقول الناس.

ومن هنا نجد أنّ فرعون لمّا فشل في الحوار والمحاججة الفكريّة بينه وبين نبيِّ الله موسى وهارون ولا سيّما أنّ الجولة في الكلام والخطاب -وبحسب ما يعرضه القرآن الكريم- كان السهم الأوفر فيها لهارون؛ وذلك أنّه أفصح من موسى (عليهما السلام) إلّا أنّ أصل المواجهة كانت مع موسى الكليم، وما يترتّب عليها من آثار وما يُناسبها من خيارات للمواجهة، ومن ثَمَّ يعرض لنا القرآنُ الكريم أنّ الفشل الذي مُنِيَ به فرعون في مواجهة البراهين العقليّة اضطره إلى أنْ يطلب المواجهةَ العلنيّة مع السَّحَرة؛ وذلك بوصفهم الجهة المكلَّفة في خداع الناس واقتيادهم لعقيدة الوثنيّة المتعدِّدة، قال تعالى في بيان المرحلة الثالثة من المواجهة بعد نكران البراهين العقليّة:

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى * قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى * فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى * قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى * فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾[1].

(١) طه: ٥٦-٦٠.

والآيات المباركة تعرض -فضلًا عن وسيلة المعجزة- تقنينَ الرُّجوع إلى مخاطبة العقل البشريّ أَمَلًا في الرُّجوع إليه وتحكيمه والخروج من الكِبْر والطاغوتيّة النفسيّة؛ وذلك استكمالًا للحُجّة ومنعًا لنزول العذاب بعد وقوع المعجزة؛ وذلك لاستحقاق المعانِد للهلاك والعذاب بفعل التكذيب لآيات الله تعالى، والتي تُعَدُّ الحدّ الفاصل بين الرجوع إلى العقل والإقرار بالتوحيد والنبوَّة وبين الإلحاد والتكذيب والإصرار على الشرك والكفر، قال تعالى: ﴿**قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى * فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى * قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى**﴾[1].

ومن ثَمَّ تستكمل الآيات عرضها في بيان مجريات المواجهة وانتهائها بإيمان السحرة بالله تعالى وبنبوة موسى الكليم (عليه السلام) وخروجه بمن آمن به من أرض مصر لينتقل بهم إلى أرض المقدس وليشهد موسى وقومه آية كبرى في فلق البحر ومرورهم به وهلاك فرعون وجنوده ولتبدأ مرحلة جديدة من المواجهة للفكر المتطرف والمتعدد المباني والمعبأ بالشبهات والبدع.

رابعًا- تنامي الفكر المتطرّف في قوم موسى بعد إيمانهم بالنبوَّة عبر الرجوع إلى مُدَّعي العلم:

قد لا يكون من المبالغة بمكان القول: بأنّ ما واجهه نبيُّ الله موسى وأخوه هارون بعد هلاك فرعون وانتقالهم إلى بيت المقدس، هو الأصعب

(١) طه: ٦١-٦٤.

ممّا سبق؛ وذلك أن المواجهة الفكريّة فيما بينه وبين الذين آمنوا بالنبوَّة هو الأعسر من مواجهة الوثنيّة الظاهرة؛ وذلك أنّ المعالجة لمّا أحدثه مُدَّعو العلم والمنافقون والجهّال الذين يُعدّون من زمرة الذين آمنو بموسى هي أعسر بكثير من معالجة آثار التطرّف الفكريّ الذي تُحدِثُه الوثنيّة، ومن ثَمَّ ستؤدِّي المواجهة الفكريّة فيما بينه (عليه السلام) ومُدَّعي العلم والفضل إلى ارتداد ضُعفاء النفوس أو إلى تحريف الشريعة؛ عبر افتعال المحدَثات وتكوين البِدَع وإضلال الناس في الدنيا عبر تفرُّقهم وتشظّيهم إلى مذاهبَ وفِرق، وهلاكهم في الآخرة، فكانت الوسائلُ والأدواتُ التي استعان بها نبيُّ الله موسى وهارون (عليهما السلام) على مواجهة الفِكر المتطرّف ونَشْرِ الأمن الفكريّ العاصم لقومه من الضلال والانحراف على النَّحْوِ الآتي:

١- مواجهة شُبهة السامري عبر وسيلة التفكُّر ونفي الصفات السلبيّة عن الله تعالى وتوافرها في المخلوقين.

يعرض لنا القرآن الكريم أُولى مظاهر الانحراف والتطرّف الفكريّ عبر وقوع الناس في غفلة الرجوع إلى مُدَّعي العلم، ومخالفة أمر نبيِّ الله موسى في الرجوع في غيبته عنهم إلى خليفته فيهم أي نبيّ الله هارون (عليه السلام)؛ فكانت نتيجةُ هذا العصيان الوقوعَ في براثن الجهل والانخداع بمُدَّعي العلم والفضل أي السامري، ولولا رجوع موسى إلى قومه من الميقات وتداركه الفتنة التي ابتُلي بها قومُه لكانوا من الهالكين في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى:

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ

الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾[1].

ويكشف لنا القرآن الكريم الوسيلة التي واجه فيها موسى (عليه السلام) هذه الفتنة؛ عبر إرجاع الناس إلى تحكيم العقل والتفكُّر في صفات الخالق (جَلّ شأنُه) وتنزيهه عن الصفات السلبيّة والمتغيّرة والتي تنشأ من مناشئ متعدِّدة ذاتيّة واكتسابيّة، إلّا أنّها جميعًا غير ثابتة وقابلة للزيادة والنقصان أو يعتريها الضمور والعَدَم، فضلًا عن العجز فيها جميعًا؛ ولذا وَسَمَهُ بالصفات السلبيّة والتي يَتنزّه عنها الله تعالى، وهو ما بيَّنه القُرآن الكريم في مواجهة موسى لهذه الفتنة، قال سبحانه: **﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾**[2].

وفي سورة الأعراف قال تعالى: **﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾**[3] فالآيتان المباركتان تخاطبان -على لسان موسى (عليه السلام)- العقلَ البشريّ بأنّ عليه أنْ ينظرَ بعين العقل إلى الصفات التي جاء بها المدَّعي والتي حَدّدتها الآيةُ بصفتين من صفات الألوهيّة؛ الأولى: انعدام التواصل بين إله السامري وبين المتلبِّس بشُبهته فهو لا **﴿يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾**؛ أي إنّه **﴿لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾** ومن ثَمَّ لا يسمعهم إذا خاطبوه وطلبوا منه حاجاتهم

(١) طه: ٨٥-٨٦.

(٢) طه: ٨٨-٨٩.

(٣) الأعراف: ١٤٨.

ولا يستطيع أنْ يُكلِّمَهم، والصفة الثانية: ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ وأنّه ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾؛ وذلك أنّ من الصفات التي يقتضي توافرها في مُدّعي الألوهيّة هي أنْ يكون مالكًا للضرّ والنفع وقادرًا على إرساله إلى مَن يكون في دائرة مُلكه ومملكته، وهو ما لا يتوافر في المدَّعي ومن ثَمَّ على العاقل أنْ يكون واعيًا ومُميِّزًا ومُحكِّمًا لعقله في مواجهة التطرّف وتكذيب المدَّعي.

والنتيجة الحاصلة من التفكُّر والتأمُّل وتحكيم العقل يُبيِّنها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ * وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

٢- التمسُّك بالخليفة المجعول من الله من أهمِّ سُبُل النجاة من الضلال والتطرّف الفكريّ.

يعرض القرآنُ الكريم في بيانه للمُجريات الفتنَ والمحنَ التي وقع فيها قومُ موسى، وسعيه (عليه السلام) جاهدًا لنجاة قومه منها؛ فيُبيِّن أنّ من أخطر الفتن هو مخالفة الخليفة المجعول من الله تعالى في منصب خلافة أنبيائه وحُجَجه على خلقه، فقد جعل الله تعالى لبني إسرائيل مَنْ يتمسَّكون به بعد موسى ويلتجئون إليه في غيابه عنهم، وألّا يعصوه في ذلك فيختاروا لأنفسهم ما يشتهون، أو للتغرير بهم من أصحاب النفوذ كما وقع بهم في فتنة السامري،

(١) الأعراف: ١٤٩.

(٢) الأعراف: ١٥٢-١٥٣.

ولو أنهم تمسّكوا بهارون ولم يعصوا الله تعالى فيه لنَجوا من الضلال والهلاك الحتميّ؛ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حتّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾[1]. والآيات المباركة واضحة الدلالة بيِّنةُ الحُجّة في آثار ترك التمسُّك بهارون (عليه السلام) ومخالفته والسعي وراء غيره وعاقبة المخالفين لأمره، فضلًا عن بيانها لحكمته في التصرُّف في محنة قومه عند غياب نبيِّ الله موسى.

ومن ثَمَّ تستعرض الآيات أسباب الانحراف والتطرّف الفكريّ ونتائجهُ التي تقود إلى التفرّق والتشرذم والوقوع في التيهِ والفِتن والخراب وغيرها ممّا وقع به قومُ موسى أو غيره من الأُمم السابقة، أو هذه الأُمّة التي عَصَتْ أمرَ ربِّها وأمر رسوله (صلّى الله عليه وآله) واتّبعت فتنةَ السقيفة كما اتّبع قومُ موسى السامري، ولا سيّما وقد ورد في الحديث الشريف عنه (صلّى الله عليه وآله)، أنّه قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**...» كما سيمرُّ بيانُه بمزيد من النصوص الشريفة في الفصل الثالث إنْ شاء الله تعالى.

٣- آثار وسيلة الموعظة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواجهة التطرُّف الفكريّ.

في العرض القرآنيّ المختصّ ببيان الوسائل التي استعان بها موسى وهارون

(١) طه: ٩٠-٩٥.

(عليهما السلام) والصُّلحاءُ من قومه في مواجهة الفكر المتطرِّف وتعدُّد أنواعه، تُظهِر لنا الآيات المباركة أنّ المحنة التي سايرت بني إسرائيل لم تنتهِ عند فتنة السامري، والتمسك بمدَّعِي العلم، والتخلّي عن خليفة موسى المجعول من الله تعالى، كما مرَّ بيانه آنفًا، وإنّما لتعدُّد الفتن والابتلاءات على الرغم من المظاهر والآيات الإلهيّة في شَدِّ قلوب الذين آمنوا؛ عبر فلق البحر، وضرب الحجر فيتفجّر منه الماء، ورَفْع الجبل فوقهم كأنّه ظُلّة، وإطعامهم ممّا تُنبت الأرض من فومها وبصلها وعدسها، وغيرها من الآيات، لكنَّهم لم يزالوا في محنة الفتن والابتلاءات والشُبهات والبِدَع والمحدَثات؛ فطلبوا رؤيةَ الله تعالى جهرةً، أو أنْ يتَّخذوا أصنامًا، أو جدالهم وتماديهم في ذَبْحِ البقرة، أو احتيالهم على الحكم الشرعيّ بصيد السمك في يوم السبت، ومن ثَمَّ فقد واجهَها موسى الكليمُ والصُّلَحاء من قومه بوسيلة الموعظة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وذلك لمواجهة الفكر المتطرف والمتجدِّد فيهم بين الحينة والأخرى، قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[1].

ولإصرارهم وغَيِّهم في المُضِيِّ بمعصية الله تعالى والفساد في الأرض على الرغم من الموعظة والنصح لهم، فقد استوجبوا العذاب بما كانوا يعملون، قال تعالى: **﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾**[2].

(١) الأعراف: ١٦٤-١٦٥.

(٢) الأعراف: ١٦٦.

وعليه: يكشف لنا القرآن الكريم وعبر بيانه لمجرَيات الحياة الفكريّة والاجتماعيّة لبني إسرائيل عن الأدوات والوسائل التي اعتمدها نبيُّ الله موسى الكليم وأخوه وخليفته في قومه نبيُّ الله هارون (عليهما السلام)، والصُّلَحاء من قومه في مواجهة التطرّف وإحلال الأمن الفكريّ فيهم ليكون في مأمنٍ من الضلال والتردّي والهلاك، والحال نفسه يجري مجراه في زمن نبيِّ الله عيسى (عليه السلام)، وهو ما سنتناوله في المسألة القادمة إن شاء الله تعالى.

المسألة الثالثة: مواجهة نبيِّ الله عيسى (عليه السلام) للفِكر المتطرّف وسَعيه في تأصيل الأمن الفكريّ.

في الأنموذج الجديد من الحياة الفكريّة التي عايشها أُولي العزم (عليهم السلام) هو قوم بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم نبيَّ الله عيسى (عليه السلام)، وممّا لا ريبَ فيه أنّ القرآن الكريم يُقدِّم عبر هذا المجتمع وأنماطه الفكريّة دروسًا جديدةً في تأصيل الأمن الفكريّ ومواجهة التطرّف المُمثَّل في عددٍ من البُدع والشُّبهات، بل والمحن الفكريّة التي مرَّ بها العقل البشريّ؛ وهي على النَّحْوِ الآتي.

أوّلًا- محنة ولادته بخلاف السُّنن الكونيّة المقتضية للأنجاب والتكاثر المكوَّن من الذكر والأُنثى وسُبُل مواجهتها في تأصيل الأمن الفكريّ:

وقد اشترك في المحنة معه أيضًا أُمّه مريم (عليهما السلام)؛ فما واجهته من بني إسرائيل لم يكن بأقلّ ممّا واجهه ولدُها؛ قال تعالى: ﴿**وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا**﴾[1].

(١) النساء: ١٥٦.

والعرض القرآنيُّ يُظهِر لنا أنّ مواجهة الفكر المتطرِّف بدأت منذ ولادته (عليه السلام) وهو في المهد، وأنّ الدعوة إلى التوحيد ونفي ما علق في أذهان بني إسرائيل من بُدَعٍ وشُبُهاتٍ وتراكمات قد عرضها القرآنُ في معرض بيانه للحياة الفكريّة لقوم موسى (عليه السلام) والتي مرَّ بيانها آنفًا، ومن ثَمَّ اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون ميلاده بهذه الكيفية التي تتناسب مع مقتضيات المواجهة الفكريّة في تغلل ضروب الوثنيّة وتبطينها بسماتٍ إيمانيّة ومعرفيّة بالله تعالى؛ وهو أخطر مراحلها التي بقيت تتنامى في أجلى صورها في الإسلام عبر طبقة المنافقين، وهو توصيف لم ينسبه الله تعالى لأُمّة من الأُمم السابقة؛ ممّا يكشف عن حجم الجهد والجهاد الذي بذله رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، كما بيّناه في بحثنا الموسوم (الأمن الفكريّ في نهج البلاغة)[1].

ومن ثَمَّ، فإنّ الله تعالى أنطقه في المهد ليكون في مواجهة الوثنيّة فضلًا عن المواجهة الأصعب عبر مُدَّعي العلم والفضل من بني إسرائيل؛ الذين اتّخذوا من بيت المقدس وسيلةً للبُدع وبثّ الشبهات ومواجهة الكتب والشرائع السماويّة، قال تعالى في بيان موقعهم الفكريّ والاجتماعيّ ومواجهتهم لمريم بنت عمران بعد أن جاءتهم تحمل وليدَها:

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[2]. والآية المباركة تُظهر اشتراكهما معًا وأنّ الله هيَّأ لهما سبيلَ النجاة والانتصار عبر وسيلة المعجزة

(١) الأمن الفكري في نهج البلاغة، السيد نبيل الحسني، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة.

(٢) مريم: ٢٧-٢٨.

الإلهيّة بتكلُّمه وهو في المهد؛ قال تعالى:

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[1].

ومن ثَمَّ فأوَّلُ كلمةٍ نطق بها نبيُّ الله عيسى (عليه السلام) هي التوحيد والعبوديّة لله تعالى والنبوَّة وما فرض الله تعالى عليه من الفرائض؛ ليكون بذاك بدايةَ طريقٍ وسبيلٍ للمواجهة في تحقيق الأمن الفكريّ.

ثانيًا- محنة الثالوث وسريانها بين بني إسرائيل كالنار في الهشيم ومواجهتها:

وقد عَرض لنا القرآنُ الكريم مرتكزاتِ هذه المحنة والتطرّف الفكريّ؛ قال تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾[2].

وفي هذه المرحلة الجديدة التي يعرضها القرآنُ يتكشّف لنا أنّ نبيَّ الله عيسى يواجهُ شُبهةً فكريّةً لم تنحصر في الذين آمنوا به، وإنّما استغلّها معادوه لغرضِ إعادة الذين آمنوا إلى دائرةِ الوثنيّة عبر الترويج لشُبهةٍ فكريّةٍ لم يكن أهلُ زمانه قادرين على تجاوزها؛ وذلك أنّهم أقرُّوا لهُ بالنبوَّة ولا سيّما وأنّه

(١) مريم: ٢٩-٣٢.

(٢) النساء: ١٧١.

قد قرنَ معجزة ولادته المخالفة للسُنن الكونيّة بمعجزةٍ أخرى هي مخالفة أيضًا للسُنن الكونيّة؛ فتراكمت في أذهانهم عقيدةُ الثالوث التي تواشجت وتعاظمت عبر الميثولوجيا البابليّة واليونانيّة[1]، فتكوَّن لديهم الاعتقاد بأنّه خليطٌ من السماء والأرض وأنّه ابن الله تعالى -والعياذ بالله- على الرغم من تصريحه منذ اللحظات الأولى من المواجهة الفكريّة بأنه عبد الله آتاه الكتاب وجعله نبيًّا، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[2].

ومن ثَمَّ كان سلوكه العمليّ والإرشاديّ للناس كاشفًا عن مواجهة لشُبهة القائلين: **﴿إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾**.

ثالثًا- محنة تغيير الأحكام الشرعيّة وما ترتّب عليها من آثارٍ دنيويّة وأُخرويّة:

مثلما جرى في الأُمم السابقة من تلاعبَ في الأحكام الشرعيّة؛ فقد سرى هذا الأمر في بني إسرائيل في زمن عيسى (عليه السلام)؛ قال تعالى: **﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**

(١) لمزيد من الاطلاع ينظر: أثر الميثولوجيا العالمية في تكوين عقائد العرب قبل الإسلام في ضوء التاريخ ونهج البلاغة، السيّد نبيل الحسني، إصدار مؤسّسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينيّة، ط١ دار الوارث كربلاء المقدّسة ٢٠٢٣م

(٢) المائدة: ٧٣-٧٥.

كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

ويعرض القرآنُ الكريم جملةً من السُّنن الكونيّة المترتِّبة والمتلازمة مع هذه الانتهاكات لأحكام الشريعة وعلى مختلف العصور والأزمنة؛ ولا سيّما تلك الأزمنة التي شهدت بعث الأنبياء والتعايش معهم، ويُظهِرُ أيضًا أنّ الابتلاءات التي تتلازم مع هذه الانتهاكات للشريعة لم تنحصر في زمنٍ محدَّدٍ بعينه؛ ومن ثَمَّ فإنّ من الأمور التي دخلت في نطاق المواجهة الفكريّة والتطرّف هو مخالفة الأحكام؛ وذلك سعيًا لتحقيق هدف المعارضين والمكذِّبين للأنبياء (عليهم السلام) فيما أمروا ونهوا عنه؛ أي لم ينحصر الأمر بالفكر والتوحيد وإنّما بتنوّع سُبُل التطرّف والمعارضة والتكذيب ممّا تطلّب بيان غايات الأحكام وأثرها السلوكيّ ونتائج مخالفتها على الإنسان في الدنيا والآخرة، وهو أمرٌ تسالم وقوعه في تاريخ النبوَّة وسِيَرِ الأنبياء وآخرهُ ما عرضه القرآن في قوم عيسى (عليه السلام).

رابعًا- محنة الغُلُوِّ فيه وفي أُمّه (عليهما السلام) وأثره في نشر التطرّف وكيفيّة مواجهته:

١- أثرُ الغُلُوِّ في التطرّف الفكريّ وسَرَيانه من بني إسرائيل إلى المسلمين.

وقد جرت بين الذين آمنوا به فضلًا عن تدخُّل أعدائه في الترويج للشُبهة لغرض جَرَّ الناس إلى الهلاك أو النُّفور منه والابتعاد عنه، قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ**

(١) النساء: ١٦٠-١٦١.

تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[1].

وهو أمر آخر من المواجهة المتجدِّدة مع الأنبياء (عليه السلام)، ولكن يبدو أنّ شُبهة الغُلو بدأت من هذا الزمن لتكون مفصلًا من مفاصل المواجهة التي مرَّ بها المسلمون أيضًا بعد وفاة رسول الله(صلّى الله عليه وآله)؛ وذلك للحديث النبويّ الكاشف عن هذه الحقيقة وسريانها في الأُمّة، فقد أخرج أحمد في المسند، عن عليٍّ (عليه السلام)، قال:

«**قال لي النبيُّ [صلّى الله عليه وآله]: فيكَ مَثَلٌ من عِيسى؛ أبغَضَتهُ اليهودُ حَتّى بَهَتُوا أُمَّه، وَأَحَبَّته النَّصارى حَتّى أَنزلُوه بالمنزلةِ التي ليسَ بهِ، ثمّ قَالَ: يَهلَكُ فِيَّ رَجُلان: مُحِبٌّ مُفرِط يَقْرِظُنِي بِما ليسَ فِيَّ، ومُبغِضٌ يَحْملُه شَنآني على أنْ يَبْهتَني**»[2].

وممّا لا ريبَ فيه أنّ نبيَّ الله عيسى والإمامَ عليًّا (عليهما السلام) قد واجَها هذا التطرّف ليحلّ مكانه الأمنُ من اعوجاج الذهن عن جادّة الحقّ؛ عبر أدوات ووسائل عِدّة تتناسب مع الزمان والمكان والمتلبِّس بهذه الشُبهة.

٢- براءة نبيّ الله عيسى من التقوّل على الله تعالى وسريانه إلى المسلمين بعد وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

في المورد الآخر الذي تتحدّث عنه الآياتُ في السؤال الذي يوجِّهه الله عزّ شأنه إلى نبيِّه عيسى (عليه السلام) في التقوّل عليه في شُبهة التأليه والثالوث؛ وهو من أعظم أنساق الوثنيّة المتلبِّسة بمظاهر الإيمان به، يقول تعالى في

(١) المائدة: ١١٦-١١٧.

(٢) مسند أحمد: ج١ ص١٦٠.

محكم التنزيل إكمالًا لجوابه في نفي الشُّبهة عنه وعن أُمّه (عليهما السلام): **﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[1].

ولتنزيهه أمام الملأ يوم القيامة من التهمة وقطع العذر على مَن يقول بالجهل، أو أنّه تعامل مع الناس فيما ادّعى من المنزلة والفضل ليخلف عيسى أو النبيَّ المصطفى (صلّى الله عليه وآله) من بعده في التسلُّط على الناس، فقد تبرّأ كلٌ منهما منها ممّا ادّعاه المنافقون والمحْدِثون من بعدهما، ولا سيّما وأنّ كُتب الحديث النبويّ قد تواترت على رواية هذه الأحاديث؛ منها:

أ- أخرجَ البخاريّ: سعيد بن جبير عن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما- عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: «**إنّكم تُحشَرون حُفاةً عُراةً غُرْلًا، ثمّ قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، وأوّل مَن يُكسَى يومَ القيامة إبراهيمُ، وإنّ أُناسًا مِن أصحابي يُؤخَذُ بهم ذاتَ الشمالِ فأقول: أصحابي أصحابي؟!! فيُقالُ: إنّهم لم يزالوا مُرتَدِّين على أعقابهم منذ فارقتهم. فأقولُ كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله ﴿الحَكِيمُ﴾**»[2].

(١) المائدة: ١١٧-١١٩.

(٢) صحيح البخاري: ج٤، ص١١٠.

ب- وأخرج أيضًا: عن أنس عن النبيِّ (صلّى الله عليه وآله) قال: «**لَيَرِدَنَّ عليَّ ناسٌ من أصحابي الحوض حتّى إذا عَرفتُهُم اختُلِجُوا دوني، فأقول: أصحابي؟!! فيقول: لا تدري ما أَحَدَثُوا بعدَكَ**»(١).

وغيرها من الأحاديث الكاشفة عن أثر المحدَثات التي عَبثتْ في الأُمّة بعد وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وأنّها من أَخطر ما يواجهها إلى يوم القيامة، ومن ثَمَّ فقد بذل الأنبياءُ والمرسلون ولا سيّما أُولوا العزم كل طاقتهم لمواجهة أولئك الذين اتَّخذوا من الشريعة وسيلةً لضَرْب الشريعة وانعدام الأمن الفكريّ على مرِّ الزمن.

خامسًا- محنة تكذيبه وبما جاء به من آياتٍ إلهّية وأثره في التطرّف الفكريّ وسُبل مواجهته:

وهذه المحنة سَرَتْ في جميع المجتمعات التي بَعَثَ الله إليهم أنبياءه ورُسُلَه (عليهم السلام) وهي التهمة بالتكذيب بما جاؤوا به وعبر جملةٍ من الأدوات والوسائل ومنها السحر؛ وهو نوع من التطرّف الفكريّ ظَهَر في قوم فرعون في أرضِ مصر بنَحْوٍ جَليّ، ثمّ انتقل بين بني إسرائيل فتعاظم التطرّف في زمن عيسى (عليه السلام)؛ وذلك أنّ السَّحَرة الذين واجهوا موسى بعد أنْ رأوا الثعبانَ يلقفُ عِصيَّهم وحِبالَهم خَرّوا لله سُجَّدًا على الرغم من تعرُّضهم للموت وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف كما بيّنه القرآن الكريم ومرّت الإشارة إليه، لكن قوم عيسى (عليه السلام) هم من بني إسرائيل أيضًا وأنّهم على الرغم من تعدُّد الآيات التي جاء بها نبيُّهم عيسى من ولادته،

(١) صحيح البخاري: ج٧، ص٢٠٧.

وتكلُّمه في المهد، إلى إبرائه الأكمه والأبرص، وإحيائه الموتى، وإخباره بما يدّخرون في بيوتهم، على الرغم مِن كلّ هذا لم يؤمنوا به، بلِ اتَّهموهُ بالسحر، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾[1].

ثُمّ ليسري هذا الاتّهام بالسحر في زمن النبيِّ (صلّى الله عليه وآله)، فقد قرنوا إليه التهمة بالكذب، قال تعالى: ﴿**وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾[2].

ويظهر من الآيات المباركة أنّ هذه التُهم كانت تُلازِمُ العديد من الرُّسل، وهي من أخطر مظاهر التطرّف الفكريّ؛ وذلك لملازمتها أصل التوحيد والنبوَّة؛ وذلك أنّ المكذِّبين إنّما أرادوا البقاء على الوثنيّة عبر مواجهة مدَّعي النبوَّة الداعي إلى التوحيد؛ قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾[3].

ومن ثَمَّ فإنّ من أخطر ما واجهه الأنبياء والمرسلون ولا سيّما أُولو العزم إبراهيم وموسى وعيسى ونبيّنا محمّد (صلّى الله عليه وآله) هو تكذيبهم بما جاؤوا وتنوّع سُبُل التَّكذيب؛ ومنه معارضة الأحكام أو التعيين للخليفة

(١) الصف: ٥-٦.

(٢) ص: ٤.

(٣) الذاريات: ٥٢.

والوصيّ من بعده، أو بيان فضائل أهل بيته وحَثّ الناس على التمسُّك بهم، بل لنجد التأويل لما جاء به مع صراحة الأمر والنهي هو من أخطرها جميعًا؛ ومنها قوله (صلّى الله عليه وآله): «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**».

كما سيمرّ مزيدٌ من البيان في تأصيل الأمن الفكريّ في السُّنّة عبر الفصل الثالث بعون الله تعالى.

الفصل الثالث:

وسائل تأصيل الأمن الفكريّ وتحقيقه في السُّنّة النبويّة.

توطئة:

إنّ دراسة بعض الأحاديث النبويّة الشريفة التي اهتمّت في حفظ العقل البشريّ -وبالأخصّ سلامة الفكر الإسلاميّ- من الانحرافات والتطرّف لكثيرةٌ جدًّا؛ وذلك أنّ الغاية من البَعث والنبوَّة هو حفظ العقل البشريّ من الانحرافات وتحقيق سلامة تفكيره كي يستطيع أنْ يحيا حياةً صالحةً في الدنيا وآمنةً في الآخرة.

ومن ثَمَّ لم يخرج سياق الحديث النبوي في الدعوة إلى الأمن الفكريّ عن سياق الآيات الكريمة التي تدعو الإنسان إلى الاستفادة من نعمة العقل وإعماله في التفكير في الآيات، وفي الأنفس، وغير ذلك؛ كي يُحرِزَ سلامة هذه النعمة والانتفاع منها على الوجه الأكمل وهو ما يتجلّى في بناء الحياة ونهوض الأُمّة.

ولعلّ الرجوع إلى القرآن في الوقوف على هذه الدعوات الرحمانيّة في الدعوة إلى إعمال العقل لغرض الأمن الفكريّ يكون من باب النافلة، لكنّنا نوردُ هنا بعض الإشارات، وهي:

١- فقد جاءت كلمة (يعقلون) في الكتاب الكريم (اثنتين وعشرون) مرّةً.

٢- وجاءت كلمة (يتفكّرون) عشر مرات.

٣- أمّا قوله تعالى: ﴿**فَانْظُرُوْا**﴾ والتي تدعو إلى التفكُّر وإعمال العقل فجاءت (خمس) مرّات.

وغير ذلك من الألفاظ التي تكشف عن أهمّية الفكر وإعمال العقل

لغـرض الوصـول إلى الصـلاح والإصـلاح في الحيـاة الدنيـا والآخـرة، ومِـن ثَـمَّ فالدعـوة القرآنيّـة تسـير إلى جنـب الدعـوة النبويّـة في الحـثِّ عـلى إعـمال العقـل والفكـر في الوصـول إلى بَـرِّ الأمـان، والـذي لا يتحقّـق إلّا بالأمـن الفكـريّ.

وعليـه: فقـد كان النبـيُّ الأكـرم (صـلّى الله عليـه وآلـه) شـديد الحـرص عـلى أُمّتـه ونجاتهـا مـن الفِكـر الضّـال والمنحـرف عـن جـادّة الإسـلام؛ ممّـا دفعـه (صـلّى الله عليـه وآلـه) إلى اسـتخدام كلِّ وسـيلةٍ تضمّـن تحقيـق نجـاة الأُمّـة مـن الهـلاك والانحـراف، ومـا ذاك إلّا بسـلامة فكرهـا الـذي يُحقِّـق الأمـن في جميـع مجـالات الحيـاة، فكانـت هـذه الوسـائل التـي أدّت إلى الأمـن الفكـريّ في الأُمّـة ودلالـة وجودهـا في السُـنّة النبويّـة عـلى النَّحْـوِ الآتي:

المبحث الأول:

متابعة النبيّ (ﷺ) للمنهج القرآنيّ في تأصيل الأمن الفكريّ وأدوات تحقيقه

المسألة الأُولى: أسباب تعدُّد وسائل الأمن الفكريّ في المنهج القرآنيّ واستعانة النبيّ (ﷺ) بها.

كَثُرَتِ الوسائلُ التي استخدمها النبيُّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) في إيقاظ الفِكر بين أبناء قومه بعد أنْ تفشّى فيهم كلّ أَنواع التردِّي الإنسانيّ؛ فكان الجهلُ وسوءُ الخُلُق والمظهر والعيش والمعتقَد هي السِّمات الأبرز في المجتمع المكّي قبل البِعثة فمَنَّ اللهُ عليهم وعلى العالمِين برسوله المصطفى (صلّى الله عليه وآله)، فكان من وسائله التي استخدمها في تأصيل الأمن الفكريّ في الأُمّة هي وسيلة القِصّة.

ولعلَّ الرجوع إلى قراءة تاريخ العرب قبل الإسلام وقراءة الأبحاث الخاصّة في دراسة طبيعة العلاقات الاجتماعيّة والنفسيّة والعقديّة[1] لَتُقَدِّم صورةً واضحةً عن حجم الانحطاط والتردّي لهؤلاء الذين أَسماهُم القرآن بـ(الأعراب) مرّةً، وبـ(المنافقين) مرّةً، وبـ(المؤلَّفة قلوبهم) مرّةً أُخرى، فضلًا عن الصِّفات والتسميات التي حدَّدها النبيُّ (صلّى الله عليه وآله) لبعضِ فئاتهم الاجتماعيّة لا سيّما طبقة الطُّلقاء في عام الفتح.

(١) لمزيد من الاطلاع ينظر: أثر الميثولوجيا العالمية في تكوين عقائد العرب قبل الإسلام دراسة بينية في ضوء التاريخ ونهج البلاغة، للمؤلف.

ولـذا: اسـتعان (صـلّى الله عليـه وآلـه) بالقِصّـة مسـتثمرًا لهـا في منهاجـه في ترسـيخ الأمـن الفكـريّ.

أوّلًا- استعانة النبيّ (ﷺ) بوسيلة القِصّة في تأصيل الأمن الفكريّ:

استخدم النبيّ الأكـرم (صـلّى الله عليـه وآلـه) مجموعـة مـن الوسـائل، ومنهـا وسـيلة القِصّـة مسـتثمرًا في ذلـك حُـبّ العـرب للقصـص والاسـتئناس بهـا، واسـتخراج الموعظـة منهـا، والدعـوة إلى التأمُّـل فيهـا، وهـوَ بـذاكَ كان يسـير مـع المنهـج القـرآنيّ في إنعـاش الفِكـر الإنسـانيّ وإعـمال العقـل في بيـان الإصـلاح وتشـخيص الفسـاد؛ وهمـا العنـصران الأساسـان في تأصيـل الأمـن الفكـريّ في الأُمّـة؛ أي بيـان الإصـلاح وتشـخيص الفسـاد؛ وذلـك عـبر الاسـتعانة بجملةٍ مِـنَ الآيـاتِ المباركـة الداعيـة إلى النظـر والتأمُّـل.

ثانيًا- الآيات الداعية للنظر في سيرة السابقين والتي سار على وفقها المنهج النبويّ:

يعـرض القـرآنُ الكريـم سلسـلةً مـن الآيـات الكريمـة التـي تدعـو للنظـر في أحـوال الأُمـم السـابقة، وسِـيَرِ النـاس في هـذه الفـترات الزمنيّـة والتـي رسـمتْ ملامـحَ المنهـج النبـويّ في أعـمال القصـص في ترسـيخ الأمـن الفكـريّ في الرعيـل الأول مـن المسـلمين، فكانـت الآيـات عـلى النَّحْـوِ الآتي:

قال تعالى:

١- ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[1].

(١) آل عمران: ١٣٧.

٢- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[١].

٣- ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾[٢].

٤- ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

٥- ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[٤].

٦- ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ...﴾[٥].

وغيرها من الآيات المباركة التي جاء القرآن عبرها «بنظرة جدّية إلى الماضي، وأشار إلى أن ذكريات العرب الماضية محدودة، وعاد إلى بدء الخليقة، وأكّد القرآن على أمثلة التاريخ الغابر وعِظاته، وذكرَ حوادث الأُمم والشعوب السالفة؛ للتأكيد على العِبَرِ الدينية والخُلُقيّة التي تنطوي عليها»[٦].

(١) النحل: ٣٦.

(٢) هود: ١٠٠.

(٣) الأعراف: ١٧٥-١٧٦.

(٤) يوسف: ٣.

(٥) يوسف: ١١١.

(٦) نشأة علم التاريخ، الدوري: ص١٧.

وقد تحدّث القرآنُ كثيرًا عن أساطير الأوّلين، «ولا يعني ذلك الأسطورة الخرافية ولكن ما هو مسطور مكتوب لدى الناس؛ أي ليس بجديد ولكنّه مؤرَّخٌ معروفٌ من قَبْل، وهذا يعني أنّ الجاهليّين قد أدركوا ما في القرآن من صِلَةٍ مع الفِكر الدينيِّ السابق، وما يملأ الجوّ القرآنيّ بوضوحٍ منه وأنّه يَروي قِصصًا وأُمورًا تاريخيّةً لها كُتُبها وذِكرها المسطور.

كما أنّ القرآن استطاع أنْ ينتزع العرب من الإطار القبليّ، ومِن الجوِّ الوثنيّ؛ ولهذا استخفَّ بالأنساب وبقِصص الأيّام وبمُثُل الجاهليّة وبَدَّلهم منها جوًّا ثقافيًّا آخرَ ربطهم بسلسلةِ التاريخِ الوجدانيّ للبشريّة؛ أي أعطاهم بُعدًا زمنيًّا جديدًا قوامه التاريخ الماضي كلّه، مِن خلال سلسلة الأنبياء (عليهم السلام) المتمادية منذ مبدأ الخلق»[1].

مُعزِّزًا فيهم الاهتمام في قراءة الأحداث التي مرّتْ بها الأُمم السابقة وعِلّة تَرديِّها وهلاكها، وأسباب نجاة مَن نجا منها وذلك وفقًا لمعطَيات الأمن الفكريّ في كلِّ أُمّة.

المسألة الثانية: استعانة النبيّ (ﷺ) بالأحداث التاريخيّة التي عرضها القرآن لترسيخ الأمن الفكريّ.

لم يكن الوحي في عرضه للأحداث التاريخيّة التي شهدتها الأُمم السالفة وما رافق سيرة الأنبياء (عليهم السلام) وجهادهم في تبليغ ما كُلِّفوا به قد أوردها من قبيل الأُنس بها؛ ولذا «نجد القرآن الكريم قد دعا إلى التفكير في أحداث التاريخ؛ من خلال استعمال المشاهدةِ وتحكيم العقل معًا لتكوين

(١) التاريخ العربي والمؤرخون، شاكر مصطفى: ص٥٨.

العقيدة، فدعم المدرَكات العقليّة بالشواهد الحسيّة، ودعا إلى استكشاف أسرار الخليقة، ومعرفة سُنن الاجتماع الإنسانيّ في التطوّر، وتدبُّر أحداث الكون.

فالقرآن يعرضُ صُوَرَ الحياة وأحداثها التي جرت على الأُمم السابقة، ويستخلص منها العِبَرَ والحِكَم ويُحذّرُ الناسّ أنْ يقعوا فيما وقعتْ فيه تلك الأُمم، من طُغيانٍ ماليّ، أو استبدادٍ سياسيّ، وتكذيبٍ وجحودٍ، وعصيانٍ وفسوقٍ، فحاق بهم العذاب»[1].

وعليه: فمن البديهيّ أنْ يهتمَّ رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بحركةِ التاريخ مستثمرًا هذا الكمّ من الآياتِ الكريمة في تحقيق الأمن الفكريّ للمسلمين عبر التفكُّر والتدبُّر في هذه القصص التي لم تقتصر على الأُمم السابقة، وإنّما شملت بيان حال الملائكة؛ كما في خَلقِ آدم وسُجودها له، والشياطين ودورها في انحراف الفكر؛ كما في قتلِ هابيل والأنبياء (عليهم السلام)، وعَقْر ناقةَ صالح، وغير ذلك.

بل: كان القرآن يتحدّث عن الحركة التاريخيّة للعلوم ونُشوئها وتطوّرها؛ كمراحل خَلقِ السماوات والأرض، ومراحل النشأة والتكوين للعناصر الحياتيّة على الأرض، وتاريخ تكوّن الأعراق البشريّة، واختلاف الألوان والألسُن، وغيرها ممّا لا حَصْرَ له، فما من علمٍ إلّا وله بداية نشأ منها، وانطلق من عندها، ليكوّن بذلك سجلًّا تاريخيًّا يُدَوَّن فيه سَيْر هذه الحركة التاريخيّة لهذا الصنف من العِلم أو ذاك، ولهذه الأُمّة أو تلك، ومِن ثَمَّ فقد شكَّلتْ الأحداث التاريخيّة عُنصرًا أساسًا في ترسيخ الأمن الفكريّ في الأُمّة.

(١) النظريّة القرآنيّة لتفسير حركة التاريخ، حسن سلمان: ص٥٣-٥٤.

أوّلًا- أسباب تركيز النبيِّ (ﷺ) على أحداث بني إسرائيل ووقائعهم الحياتيّة:

ظهرتْ الحركة التاريخيّة عند رسولِ الله (صلّى الله عليه وآله) واسعةً وعميقةً؛ فقد أَخرجَ أحمد في المسند عن عمران بن حصين: «كَانَ رَسُولُ الله [صلّى الله عليه وآله]، يُحَدِّثُنَا عَامَّةَ لَيْلِهِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا يَقُومُ إِلَّا إِلَى عُظْمِ صَلَاةٍ»[1].

ويبدو أنّ تركيز النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) على بني إسرائيل عائدٌ لعدّة أسباب؛ منها:

١- تعاقُب عددٍ من الأنبياء (عليهم السلام) الذين أرسلهم الله إلى بني إسرائيل.

٢- تنوّع الجوانب الحياتيّة لديهم باختلاف الأزمنة التي بُعِثت بها أنبياؤهم؛ بمعنى أنَّ كلَّ مرحلةٍ زمنيّةٍ أو مكانيّة هي عبارة عن سِجِلٍّ تاريخيّ للحركة البشريّة.

٣- اختلاط اليهود بالمسلمين وتشكيلهم نسبةً جيّدةً من الجغرافية العربيّة التي تعدَّدت فيها المعتقدات، فقد ظهرَت في الجزيرة والعراق واليمن والشام مجموعة من المعتقدات.

٤- قُربُ زمانهم من زمان بَعثِ النبيِّ (صلّى الله عليه وآله)، وهذا يدلُّ على استيعاب المسلمين لأَثرِ السُّنن التاريخيّة التي مرَّتْ بها مجتمعاتُ بني إسرائيل.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٤، ص٤٣٧ و٤٤٤، ينظر: المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٢، ص٣٧٩، البداية والنهاية لابن كثير: ج٢، ص١٥٧، وقال: رواه أبو داود عن قتادة، عن أبي حسان، عن عبد الله بن عمرو. والحديث رواه البزار من هذا الطريق، ومن طريق عمران بن حصين.

٥- نفوذُ الثقافة اليهوديّة والنصرانيّة في أَندية المدينة بشكلٍ خاصّ.

٦- تجدُّد العوامل الفاعلة في حركة السُّنن التاريخيّة في أُمّة المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

وهو الأمرُ الذي كان يُنبِّه عليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مرارًا، وكان يُحذِّر المسلمين منه، بعد أنْ لاحظَ النبيُّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) أنَّ العديد مِن أُسس السُّنن التاريخيّة بدأتْ تتحرَّك في أُمّته.

ولذا أراد حِفظَهم مِن عدم تَحقُّق هذه السُّنن التاريخيّة في أُمّته ووقوعها في التِّيه كما وقع بنو إسرائيل، وكي لا تحصد الأُمّة ما سيترتَّب على هذه السُّنن من نتائج تتعاظم بأكثر ما جناه بنو إسرائيل؛ وذلك بعِلّة انعدام الأمن الفكريّ فيهم، وما ظُهورُ السامريّ إلّا مَظهرٌ واحدٌ مِن مظاهرِ انعدام الأمن الفكريّ فيهم.

ومن هنا؛ نجده (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان يُحدِّث المسلمين عن تلك السُّنن التاريخيّة التي جَرَت في بني إسرائيل؛ كي يُحذِّرهم منها ويأمَنوا من الوقوعِ بها. وهو في نفس الوقت أعطى خزينًا تاريخيًّا وعاملًا نَهضويًّا في بناء الأمن الفكريّ الذي نجا به جماعةٌ من المسلمين بعد وفاته (صلّى الله عليه وآله)، وهو ما أخبر عنه المسلمين، كما سيمرُّ بيانُه لاحقًا.

٧- مشكلةُ الوصاية وتبادل الأدوار القياديّة بين موسى وهارون (عليهما السلام)، وعُزوف بني إسرائيل عن هارونَ وصيِّ موسى الكليم (عليهما السلام) وخليفته في أُمّته، وتجدُّد هذه الفتنة في المسلمين مع جملةٍ من الأحداث التي وقعَت في عصر ما بعد النبوَّة؛ ممّا قدَّم تشابُهًا بل وتطابقًا

للأحداث والمحنتين؛ أي محنة هارون وموسى (عليهما السلام) ومحنة النبيِّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ووصيِّه الإمام عليّ (عليه السلام).

ومِن ثَمَّ كيف لا يمضي النبيُّ (صلّى الله عليه وآله) عامّة ليله يتحدَّث عن بني إسرائيل وهو يرى أُسس هذه الأحداث والمحنة التي عصفَت ببني إسرائيل تتجدد في أُمّته؛ وذلك لانعدام الأمن الفكريّ، فبذل فيهم جملةً من الوسائل لتحقيق هدفه في نجاتهم.

ثانيًا- تنوّع الوسائل النبوية وفق متغيرات العصر والطبيعة البشريّة في ترسيخ الأمن الفكريّ وتأصيله في الأُمّة:

لم يغب عن ناظر النبيِّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) المنهج الذي قدَّمه القرآنُ في إصلاح الأُمم عبر وضع العديد من السُّنن الإلهيّة في الحياة الإنسانيّة، والتي عُرفتْ فيما بعد -حسب اصطلاح المؤرّخة في فلسفة التاريخ- بالسُّنن التاريخيّة؛ فهذه السُّنن لم تكن تغيب عن ناظر الحبيب المصطفى (صلّى الله عليه وآله).

ولذا: كان يُحدِّث المسلمين، ويُبَيِّن لهم تلك القوانين الإلهيّة، التي تحكَّمتْ في مصير الأُمم السالفة، لا سيّما بني إسرائيل وهم الأقرب عهدًا بأُمّة الإسلام والأكثر احتكاكًا وتعايشًا مع المسلمين، وربما فهما واستيعابًا لتلك النتائج التي تمخَّضتْ منها هذه السُّنن التاريخيّة.

وحيث إنّ الطبيعة البشريّة هي واحدة؛ فهي تتأثر بالمتغيّرات الحياتيّة والفكريّة، وحيث إنّ عناصر الشرِّ والخير مُتأصِّلةٌ ومتناميةٌ في جميع الأُمم، كان لزامًا على هذه الأُمّة أن تعيش تلك السُّنن التاريخيّة، والقوانين الحياتيّة التي عاشتها الأُمم السابقة، وكان لزامًا على النبيِّ (صلّى الله عليه وآله) وهو المبعوث رحمة للعالمين

أنْ يَتَّبع مختلف الوسائل والإمكانات وفق متطلّبات العصر والمرحلة الحياتيّة التي يمرُ فيها وبما يتناسب مع الطبيعة البشريّة لإرشاد أُمّته إلى ما يُنجيهِم من عذابٍ عظيم؛ وذلك عبر تأصيل الأمن الفكريّ فيهم، ومنها تحذيرهم من المخاطر التي تُحيط بهم أو التي سيقعون فيها.

المسألة الثالثة: تحذير النبيّ (صلى الله عليه وآله) من المخاطر القادمة وبيان آثارها في تنامي الفكر المتطرِّف وزعزعةِ الأمن.

إنّ قراءة حياة النبيِّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؛ ولا سيّما في السنة الأخيرة من حياته الشريفة؛ تُرشد إلى أنّه كان يُحذِّر المسلمين من اتِّباع تلك السُّنن التاريخيّة التي مرَّت بها الأُمم السالفة؛ بل تُظهر النصوص الشريفة أنّه كان يرى أنّ هذه الأُمّة قد سلكَت سبيل السُّنن التاريخيّة للأُمم السابقة وأنّها وقعَت بما وقع به مَن كان قبلهم لا سيّما بني إسرائيل.

ولذا: كشف لهم مصيرُهم بعد أن أصرَّ الكثيرُ منهم على عدم الأَخْذِ بمنهاجه في الأمن الفكريّ في جملةٍ من الأحاديث؛ منها:

١- قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم):

«لَتتبعنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، وَالْقُذَّةَ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ إِنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ!

قالوا: فاليهود والنصارى يا رسول الله؟

قال: **فمن إذن»؟**[1].

(١) الرسائل العشر، الشيخ الطوسّي: ص١٢٧.

٢- وفي لفظٍ آخر أنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال:

«لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ.

قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟

قال: **فمن»**[1].

٣- وفي لفظٍ أنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، قال:

«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذَ الْقُرُونَ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ.

فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟

قال: **ومَن النَّاسُ إلّا أُولئكَ»**[2].

إنّ هذه التحذيرات التي أطلقها النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في اتّباع هذه الأُمّة السُّنن التاريخيّة للأمم السابقة، ولا سيّما بني إسرائيل كانت مُحفِّزًا قويًّا لتحقيق الأمن الفكريّ وتأصيله لدى جماعةٍ من المسلمين، واجتنابهم من الوقوع في تلك الانحرافات والتطرّف الفكريّ الذي هلك فيه بنو إسرائيل.

فنجَتْ هذه الفِرقةُ وهلكت بقيّة الفِرق الأُخرى فكانت جميعها في النار، كما سيمرُّ بيانُه لاحقًا.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الخلق، ج ٤، ص١٤٤.

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنّة، ج ٨، ص١٥١.

المبحث الثاني:

مرتكزات تأصيل الأمن الفكريّ عند رسول الله (ﷺ)

المسألة الأولى: إرجاع الأمور إلى رسول الله (ﷺ) وعترته (عليهم السلام) وأثره في تكوين المرتكز الأول لتأصيل الأمن الفكريّ.

من الركائز الأساسيّة التي أرشد إليها القرآنُ الكريم في بيان الأمن الفكريّ وكيفيّة تحقيقه وتأصيله في النفس والمجتمع، هو: إرجاع الأمور إلى الرسول (صلّى الله عليه وآله) وأولي الأمر من عترته (عليهم السلام) الذين خصّهم بالإمامة والعصمة وأوجب على الأُمّة اتِّباعهم والتمسُّك بهم وطاعتهم؛ وقد أظهرت الآية أنّ انعدام المرجعيّة في فهم الأمور وتحديد صلاحها كان أحد الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف والفساد؛ وذلك عبر تبنِّي كثير من الناس حقَّ الاستنباط في شرع الله تعالى من دون تجويز من صاحب الشريعة؛ وهو الله ورسوله الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والإمام المعصوم المجعول من الله تعالى.

أوّلًا- أسباب الانحراف والتطرّف الفكريّ:

ولعلّ تبنِّي بعض الجماعات الإسلاميّة للفكر المتطرِّف سببه ظهور مُدَّعي العلم بالقرآن والسُنّة واتِّخاذها لنفسها مرجعية في إصدار الأحكام لا سيّما فيما يتعلَّق بأهدافها السُّلطويّة في إقامة الإمارة أو الخلافة، فكان التكفير هو السمة الأبرز في الحكم على كلِّ مَن يُخالف هذه المرجعيّات، ممّا حقّق إذاعة الإرهاب وممارسته أين ما حلَّت هذه الجماعاتُ، وإن اختلف الزمان والمكان؛ وذلك أنّ الأصول التي تتَّبعها هذه الجماعاتُ منذ نشأتها كانت تُركِّز على اتِّباع الأهواء

والبدع في أحكام الله تعالى؛ وهي حقيقة كشفتها المواقف والحوادث التاريخيّة فضلًا عن النصوص الشريفة في بيانها لأصول الانحراف عمّا جاء به القرآن والنبيُّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، ومنها:

١- قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

٢- قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام):

«إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ، لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو ﴿الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ﴾ مِنَ اللهِ ﴿الْحُسْنَى﴾»[2].

ثانيًا- محدِّدات الأمن الفكريّ في آية أولي الأمر:

وهو ما كشفته النصوص المباركة في بيانها لجملةٍ من مرتكزات الأمن الفكريّ، وهي على النَّحْوِ الآتي:

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم: ٥٠.

١ - الرجوع إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وإلى أُولي الأمر.

قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاّ قَلِيلًا**﴾[1].

وممّا لا ريبَ فيه أنّ أُولي الأمر هنا في الآية لا يُراد بهم الحكّام والسلاطين والملوك والرؤساء الذين يحكمون البلاد الإسلاميّة؛ وذلك لانتفاء شروط المرجعيّة الدينيّة فيهم أي الإمامة، أو الفقيه الجامع للشرائط التي حدّدها الإمام المجعول من الله تعالى ورسوله (صلّى الله عليه وآله). وأمّا ما عدا ذلك لا يُحقِّق الغرض المقصود في الآية سواء في أمر الأمن أو الخوف. نعم، إنّ هؤلاء الأمراء والحكّام عليهم تكاليف ثلاثة؛ تندرج في ضبط النظام العامّ، وأمن البلاد، ونماء اقتصادها، وحفظ المواطنين، وتأمين احتياجاتهم، وصون كرامتهم، ودفع الأخطار عنهم.

٢ - تحديد صلاحيات الحاكم.

وهو ما نَصَّ عليه أميرُ المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام) في عهده إلى مالك الأشتر (عليه رحمة الله ورضوانه)، فقال:

«**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلَّاه مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وجِهَادَ عَدُوِّهَا، واسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وعِمَارَةَ بِلَادِهَا..**»[2].

---

(١) النساء: ٨٣.

(٢) نهج البلاغة: كتابه إلى مالك الأشتر، ص٤٢٦ بتحقيق صبحي صالح.

أمّا فرض الحكّام لبعض القوانين في الشريعة والأفكار والآراء والمعتقَد فإنّ ذلك لن يكون تحت مصطلح الأمن الفكريّ ومفهومه، بل الحَجْر الفكريّ.

٣- توسعة دائرة المسؤوليّة الفكريّة.

إنَّ ما يشهده المسلمون اليوم من متغيّرات في ضُروب الحياة الاجتماعيّة والثقافيّة وقد انتشروا في مختلف بقاع العالم، ويعيشون في كنف العديد من الدول العظمى والمتقدِّمة، فضلًا عمّا تفرضه وسائل التواصل الاجتماعيّ، يوجِبُ عليهم توسعة دائرة المسؤوليّة الفكريّة ومِن ثَمَّ لا يعقل أن يُقرِّر لهم حُكّامُ تلك الدول سلامةَ فكرهم وعقيدتهم ودينهم.

وعليه: لا دليلَ على اختصاص الآية بالرؤساء وأرباب الحكم في تحديد الأمن الفكريّ والواقع الحياتيّ والاجتماعيّ والثقافيّ يتعارض مع دعوى حَصْرِ الآية المباركة في الحُكّام وأنّهم أولياء الأمر بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ليرجع إليهم في الأمن والخوف، وأوّل الأمن هو سلامة الفكر من الانحراف عن الثقلين، وهما كتاب الله وعترة النبيِّ (صلّى الله عليه وآله)، وقد نصَّ -بأبي وأُمّي- على التمسّك بهما ليأمن على أُمّته من الضلال فلا يجدون أمنًا لفكرهم، بل لن يجدوا أمنًا لهم في الدنيا والآخرة، فممّا جاء في حديث الثقلين:

أ- قال (صلّى الله عليه وآله):

«إنّي تاركٌ فيكم أمرين إنْ أخذتم بهما لن تَضِلُّوا: كتابَ الله عَزَّ وَجَلّ وأَهلَ بيتي عِترتي، أيُّها الناسُ اسمعوا وقد بلَّغتُ، إنّكم سَتَرِدونَ عليَّ الحوضَ

فأسألُكم عمّا فعلتُم في الثقلين، والثقلان: كتابُ الله جلَّ ذِكرُهُ وأهلُ بيتي، فلا تسبقوهم فتهلِكُوا، ولا تُعلِّموهم فإنَّهم أعلمُ منكم»[1].

ب- وقال (صلّى الله عليه وآله):

«ألاَ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأتِي رسولُ ربِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تاركٌ فيكم ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ الله فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكتاب الله، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، فحَثَّ على كتابِ الله ورغَّب فيه، ثُمَّ قال: وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بَيْتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بَيْتي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أهلِ بَيْتي»[2].

(١) الكافي، الكليني، كتاب: العقل والجهل، باب: الإشارة والنص على أمير المؤمنين (عليه السلام): ج١ ص٢٩٤

(٢) صحيح مسلم، باب: من فضائل علي (عليه السلام): ج٧ ص١٢٣.

المبحث الثالث:

الوسائل التعليميّة وأثرها في تحقيق الأمن الفكريّ عند رسول الله (ﷺ)، وسيلة (الكساء) اختيارًا

-توطئة:

لَم يكتفِ النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) ببيان حركة التاريخ وسُننه عبر وسيلة القِصّة لغرض تحقيق الأمن الفكريّ في الأُمّة فضلًا عمّا لها من دينامية فاعلة في إعمال العقل في التفكُّر والتدبُّر والاتِّعاظ.

وإنّما انتقل بالمسلمين إلى وسائل أُخرى؛ حرصًا منه (صلّى الله عليه وآله) على تأصيل الأمن الفكريّ فيهم، وإحراز نجاتهم من الضلال والوقوع في المهالك وأنواع الخوف والذعر، وعدم الاستقرار، وهي على النَّحْوِ الآتي:

المسألة الأولى: ترسيخ دلالة حصر الإمامة عبر وسيلة (الكساء) وأثرها التعليميّ في تأصيل الأمن الفكريّ.

ينتقل (صلّى الله عليه وآله) -حرصًا على أُمّته- إلى الوسيلة التعليميّة مُنشِّطًا للذهن في الاستدلال على معرفة أصول الشريعة وقوانينها التي تُحقِّق لهم الأمن الفكريّ وسلامة العيش وطمأنينته.

ومن هذه الوسائل استخدامه (صلّى الله عليه وآله) للكساء كوسيلة تعليميّة إرشاديّة؛ لبيان غرض الشريعة وبيان دلالة الحكم الإلهيّ كي يُحقِّق الأمنَ الفكريّ ويَحفَظَ العقل من الانحرافات والتأويلات والأباطيل في تحديده لأحد الأصول التي قام عليها الدين الإسلاميّ، وهي الإمامة.

ولذا: نجده (صلّى الله عليه وآله) استعان بوسيلة (الكساء) لإرشاد المسلمين إلى أنّ الإمامةَ من بعده محصورةٌ في عترته أهل بيته(عليهم السلام)؛ وذلك حينما جمعهم وجلَّلهم بالكساء اليمانيّ ثمّ قيامه (صلّى الله عليه وآله) بجَمْعه لأطراف هذا الكساء؛ كي يقطع الطريق على مَن يعتقد أنّ أهلَهُ وعترتَهُ الذين أرادهم الله في محلِّ الإمامة والاقتداء والاتِّباع من بعد نبيِّه (صلّى الله عليه وآله) غير هؤلاء الذين عصمهم الله من الوقوع في الذنب فطهّرهم تطهيرًا، فضلًا عن دَفْعِ الأباطيل والتأويلات التي يُطلقها البعض والتي ارتكزت على مفاهيم واهية لا تصمد أمام روح القرآن والسُنّة النبويّة.

ومن ثَمَّ: فإن استخدامه (صلّى الله عليه وآله) واستعانته بوسيلة (الكساء اليمانيّ) كان الهدف منه هو الدلائل على حَصْرِ هؤلاء الأربعة؛ وهم (فاطمة وعليّ وولدَاهما) (صلواتُ الله عليهم أجمعين) في اختصاصهم بالآل والأهل وزرع هذه الدلالة في أذهانهم بغية تأصيل الأمن الفكريّ فيهم، فكانت هذه الوسيلة التعليميّة والإرشاديّة -على بساطتها- بالغةً في الحجّة في تحديد أهل النبيِّ (صلّى الله عليه وآله)؛ ولذا كثرت طُرق الحديث الشريف؛ ممّا يكشف عن نفاذ هذه الدلالة الإرشاديّة في معرفة أهل بيته (عليهم السلام) وأثرهم في تحقيق الأمن الفكريّ في الأُمّة وعصمتها من الانحراف والضلال والوقوع في الهاوية والخسران المبين.

المسألة الثانية: تَعدُّد طُرق حديث الكساء كاشفٌ عن تأصيل النبيِّ (صلى الله عليه وآله) لمرتكزات الأمن الفكريّ في التمسُّك بأهل بيته (عليهم السلام).

لقد كشفت المصادر لدى معظم الفرق الإسلامية عن تضافر الرواة على رواية حديث الكساء وتدوينه؛ فكان منها:

١- أخرج الحاكم النيسابوريّ: عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عن أبيه قال: «لما نظر رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) الرحمةَ هابطةً، قال: **ادْعُوا لي ادْعُوا لي**، فقالت صفيّة: مَنْ يا رسولَ الله؟ قال: **أهلَ بيتي عليًّا وفاطمةَ والحسنَ والحسينَ**، فَجِيءَ بهم فألقى عليهم النبيُّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كساءه ثمّ رفع يديه، ثمّ قال: **اللَّهُمّ هؤلاءِ آلي فَصَلِّ على محمّد وعلى آل محمّد**، وأنزل الله عزّ وجل: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1]»[2].

٢- أخرج الحاكم: عن عامر بن سعد يقول: «قال سعد بن أبي وقّاص: نزل على رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) الوحيُ فأدخل عليًّا وفاطمةَ وابْنَيهما [عليهم السلام] تحت ثوبه، ثمّ قال: **اللَّهُمّ هؤلاءِ أهلي وأهل بيتي**».

ونلاحظ هنا: أنّ الفعل النبويّ قد تلازم مع الوحي في بيان أهل بيته (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وحَصْرهم من خلال هذه الوسائل الإرشاديّة؛ كي لا يبقى أحدٌ يعتقد أنّ آل محمّد وأهل بيته (عليهم السلام) غير هؤلاء الأربعة.

وهذا المعنى قد التفت إليه الحاكمُ النيسابوريّ؛ أي الحكمة في استخدام النبيّ للكساء أو الثوب في بيان مراد القرآن والوحي في تحديد الآل والأهل للنبيِّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بهؤلاء الأربعة (عليهم السلام) فقط دون غيرهم، فقال: «وقد روى هذا الحديث بإسناده وألفاظه حرفًا بعد حرفٍ، الإمام محمّد

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري: ج٣، ص١٤٧.

بن إسماعيل البخاريّ، عن موسى بن إسماعيل في الجامع الصحيح؛ وإنّما خَرّجتُه ليعلمَ المستفيدُ أنّ أهل البيت والآل [عليهم السلام] جميعًا هم»[1].

بمعنى: أنّ آل النبيِّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأهل بيته هم واحد؛ وهم هؤلاء الأربعة الذين جلّلهم بالكساء، وهم الذين أخرجهم للمباهلة.

والحديث الذي قال عنه الحاكم: «وقد روى هذا الحديث بإسناده وألفاظه حرفًا بعد حرفٍ الإمام محمّد بن إسماعيل البخاريّ» هو هذا: -قال- عبد الرحمن بن أبي ليلى: «لقيني كعب بن عجرة فقال: ألَا أُهدي لك هديّةً سمعتُها من النبيّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم)؟ قلتُ: بلى، قال: فأَهدِهَا إليه. قال: سألنا رسولَ الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: **قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ على محمّد وآلِ محمّد كما صَلَّيتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ إنّكَ حَميدٌ مجيد، اللَّهُمَّ بارِكْ على محمّد وَآلِ محمّد كَما بارَكتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنَّكَ حَميدٌ مجيد**»[2].

٣- أخرج أحمد بن حنبل: عن شهر بن حوشب، عن أُمِّ سَلَمة: «أنَّ النبيَّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) جَلَّل على عليٍّ وحسنٍ وحسينٍ وفاطمةَ [عليهم السلام] كساءً، ثمّ قال: **اللَّهُمّ هؤلاءِ أهلُ بيتي وخاصَّتي اللَّهُمّ أَذهِبْ عنهمُ الرِّجسَ وطَهِّرهُم تطهيرًا**. فقالت أُمّ سَلَمة: يا رسولَ الله أنا منهم؟ قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): **إنّكِ على خيرٍ**»[3].

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٣، ص١٤٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج٦، ص٣٠٤.

المسألة الثالثة: الحكمة من التحديد والحصر التي عيَّنتها وسيلةُ الكساء.

وتظهر الحكمةُ بشكلٍ كبير في اعتماد النبيِّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الآليّة التحديدية عبر وسيلة (الكساء) في إرشاد الناس ولا سيّما أزواجه إلى تحديد أهل بيته(عليهم السلام)؛ وذلك حينما كان تجليله لهم بالكساء في دار أُمّ سَلَمة، وفي رواية في دار عائشة؛ وذلك لقطع الطريق على مَن تَدَّعي منهنَّ بأنّها من آله وأهل بيته الذين حدَّدهم القرآن، أي إنّ أهل بيته (عليهم السلام) ليسُوا أولئك الذين يُحدِّدهم المجتمعُ فيكون المعنى مجازيًّا؛ وذلك بالرجوع إلى العشرة والمودّة؛ فقد يصبح اثنان من الناس وبسبب العشرة الطيِّبة بأنّهم (أهل)، ولعلّ المودّة والأخلاق الحميدة تجعلهم قريبين إلى القلب بأكثر ممّا يمتاز به أهلُ البيت الواحد الذين تربطهم رابطة الدم.

ولقد ورد في الأحاديث الشريفة عن الإمام أَبي عبد الله (عليه السلام)، قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ (عليه السلام):

«الْقَرِيبُ مَنْ قَرَّبَتْه الْمَوَدَّةُ وإِنْ بَعُدَ نَسَبُه، والْبَعِيدُ مَنْ بَعَّدَتْه الْمَوَدَّةُ وإِنْ قَرُبَ نَسَبُه، لَا شَيْءَ أَقْرَبُ إلى شَيْءٍ مِنْ يَدٍ إلى جَسَدٍ، وإِنَّ الْيَدَ تَغُلُّ فَتُقْطَعُ وتُقْطَعُ فَتُحْسَمُ»[1].

ولذلك: المراد بآل النبيِّ وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) هم أولئك الأربعة، وليس أزواجه أو أقرباءه أو أحبابه وخِلّانه وأصحابه، وإنْ كان لأحدهم مكانةٌ في نفس رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فهذا لا يعني أنّهم من آل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الذين أذهب الله عنهم

(١) الكافي، الشيخ الكليني: باب : التحبب إلى الناس: ج٢ ص٦٤٣

الرجسَ وطهّرهم تطهيرًا.

من هنا: نُدرك حكمةَ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في استخدام الكساء في دار أُمّ سَلَمة أو عائشة أو غيرها، ونُدرك أيضًا معنى أنْ يجمع النبيُّ أطرافَ هذا الكساء ويمنع أُمَّ سَلَمة من الدخول تحته وقوله لها: «**إنّك على خيرٍ**»[1].

ومن ثَمَّ: نجد أنّ زيد بن أرقم لمّا سأله حصين بن سبرة عن أزواج النبيِّ (صلّى الله عليه وآله) بأنهنَّ من أهل بيته الذين أَذْهَبَ اللهُ عنهم الرجسَ وطهَّرهم تطهيرًا ؟ أجاب بالنفي مبيِّنًا للعِلّة في نفيه، قائلًا: «أهلُ بيته مَنْ حُرِم الصَّدَقةَ بعدَهُ»[2].

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٦، ص٣٢٣ باب: حديث بعض أزواج النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، سنن الترمذيّ: ج٥، ص٣٦١، مجمع الزوائد: ج٩، ص٢٤٥، مسند أبي يعلى: ج١٢، ص٣٤٤، مناقب الإمام عليٍّ (عليه السلام) لمحمّد بن سليمان الكوفيّ: ج٢، ص١٣٩، الأمالي للطوسي: ص٢٦٤.

(٢) صحيح مسلم، باب: فضائل علي (عليه السلام): ج٧ ص١٢٣.

المبحث الرابع:

منهاج النبيّ (ﷺ) في تأصيل الأمن الفكريّ عبر وسيلة المثَلِ وتلازمه مع المنهج القرآنيّ

- توطئة:

إنّ من المناهج الإرشاديّة التي جاء بها القرآنُ في بيان الأحكام الشرعيّة إلى الناس وتأصيل الأمن الفكريّ في المجتمع هو استخدامه الأمثال وضَرْبها للناس؛ كي يلتفتوا إلى مراد الوحي ودلالة المثل، فذلك أكثر وَقْعًا على أذهان الناس وأمضى أَثرًا في تحريك العقول.

ومِن ثَمَّ يُصبح ضَرْبُ الأمثالِ له من الخصوصيّة التأثيريّة على النفس ما لا يُحرَزُ في غيره من الوسائل والمناهج؛ وذلك لتقاربه مع كثيرٍ من الأنماط الفكريّة لدى الناس.

المسألة الأولى: تنزيل القرآن للحقائق بواسطة الأمثال.

إنّ من بين الأمثال التي جاء بها الوحي في بيان أثر القرآن على الأشياء ونفاذه النورانيّ فيها، ما جاء في سورة الحشر عند قوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1] .

في حين نجد أنّ القرآن الكريم يضرب مثلًا آخر في قسوة قلوب الظالمين، فيقول سبحانه:

---

(١) الحشر: ٢١.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

فهذه القلوب التي هي أَشدُّ قسوةً من الحجارة لم يكن القرآنُ لينفذ بنوره إليها، في حين يكون أثرُه فيما لو أُنزل على جبلٍ أنْ يتصدّع من خشية الله تعالى.

وفي أثر الكلمة الطيِّبة الإصلاحيّ في النفس الإنسانية يضرب الله مثلًا لذلك فيقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[2].

ولعلّ تتبُّع الآيات يُخرِجُ البحثَ عن موضوعه، ولكن أردنا أنْ نُظهِرَ للقارئ الكريم أنّ هذا المنهج الإرشاديّ الذي جاء به القرآنُ الكريم استخدمه رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) في بيان حقيقة منزلة أهل بيته (عليهم السلام) في هذه الأُمّة وموضعهم من الرسالة.

المسألة الثانية: وسيلة المثل في المنهج الإرشاديّ عند النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم).

تُرشِد النصوصُ الشريفة إلى أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قد انتهج المَثَلَ كوسيلةٍ تعليميّة في إرشاد الناس إلى ترسيخ الأمن الفكريّ في نفوس المسلمين، كاشفًا بذلك عن الملازمة فيما بين المنهج القرآنيّ والنبويّ في إعمال العقل ودَفْعِه إلى التفكّر والتأمّل بغية الوصول إلى عصمة الذهن من الانحراف والضلال، فكانت النصوص النبويّة على النَّحْوِ الآتي:

(١) البقرة: ٧٤.

(٢) إبراهيم: ٤.

أوّلًا- الاستشهاد بمَثَلِ السفينة:

١- رواية الحاكم في المستدرك.

أخرج الحاكم النيسابوري في مستدركه، عن حنش الكنانيّ قال: «سمعتُ أبا ذرّ (رضي الله عنه) يقول: وهو آخذٌ بباب الكعبة: أيّها الناس، من عَرَفني فأنا مَن عرفتُم، ومَنْ أنكرني فأنا أبو ذر، سمعتُ النبيَّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم)، يقول: **ألا إنّ مَثَلَ أَهلِ بيتي فيكُم مِثْلُ سَفينَةِ نُوحٍ مِن قَومِه، مَنْ رَكِبَها نَجَا، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنها غَرِق**»[1].

٢- تحليل الحديث وبيان غرضه الإرشادي في ترسيخ الأمن الفكريّ.

إنّ قراءة الحديث الشريف وتحليله تُرشِدُ إلى استخدام النبيِّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) المثلَ وسيلةً لترسيخ الأَمن الفكريّ في الذهن عبر اختيار (السفينة) كَمَثَلٍ في أثر أهل بيته (عليهم السلام) في نجاة أُمّته من الغرق، ولا شكّ أنّ الغرق المقصود هو بحر الشُّبُهات والبِدَع والضَّلال؛ فمَن تخلّف عن أهل البيت (عليهم السلام) غَرِقَ في الضلال والبِدَع كما غرقَ قومُ نوحٍ في الضَّلال فكان مصيرُهم الهلاكَ في الدنيا والعذابَ الأليمَ في الآخرة فالنتيجة واحدة في الأُمّتين؛ أُمّة نوحٍ وأُمّة محمّد (صلّى الله عليه وآله) في تَرْكِها اللجوءَ إلى السفينة.

---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوريّ: ج٢، ص٣٤٣، وج٣، ص١٥١، المعجم الأوسط للطبرانّي: ج٤، ص١٠، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج١، ص٣٦٢، مسند البزار: ج٣، ص٢٢٢، حديث (٢٦١٥)، المعجم الوجيز للميرغني: ص٣٧٧، حديث (٧٣٧)، الأمثال في الحديث النبويّ: برقم (١٠٣٧)، ط المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، اللباب: ص٢١٣، المشكاة للتبريزيّ: ج٣، ص٢٦٥، كشف الأستار، كتاب علامات النبوة، باب: مناقب أهل البيت (عليهم السلام): حديث ٢٦١٥.

ويمضي النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) في ضَربِ الأمثال لبيان أثر أهل بيته (عليهم السلام) في هذه الأُمّة ومنزلتهم من الرسالة؛ كي يؤصِّل فيهم الأمنَ الفكريّ ويعصم العقلَ من الشُّكوك والانحرافات والشُّبهات، فيأتي بأمثلةٍ أخرى؛ وهي:

ثانيًا- الاستشهاد بمَثَلِ باب حِطّة:

١- رواية الطبرانيّ والبزار.

روى الطبراني والبزار وغيرهما حديثَ السفينة عن أبي ذرّ، ثمّ يُردِفه بمثالٍ آخر لأثَر أهل البيت (عليهم السلام)؛ فيمثلهم (صلّى الله عليه وآله) بـ: (باب حِطّة في بني إسرائيل)[1].

وقد روى الفريقان الحديثَ بألفاظ متفاوتة؛ منها:

٢- رواه الشيخ محمّد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار (رحمه الله) (ت٢٩٠هـ).

وقد رواه عن أبي ذرّ، عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقال:

«إنّما مَثَلُ أَهلِ بَيتي فيكم بابُ حِطّةٍ مَنْ دَخَلَهُ غُفِرَ لَهُ، ومَنْ لَمْ يَدخُل لَمْ

(١) كفاية الأثر للخزار القميّ: ص٣٩، كتاب سليم بن قيس: ص٤٥٧، مناقب الإمام عليّ لابن سليمان الكوفي: ج٢، ص١٤٦، الأمالي للطوسي: ص٦٠، فتح الوهّاب تخريج أحاديث الشهاب: ج٢، ص٣٣١، الجامع الصغير للطبرانيّ: ص٣٩١، الجامع الكبير للطبرانيّ: ص٢٦٣٧، ورواه القضاعي في مسند الشهاب برقم (١٣٤٢) ورواه البزار برقم (٢٦١٥) والطبراني (١٢٦٣٨ و ١٢٣٨٨) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠٦) والفسوي في المعرفة (١/ ٥٣٨) وابن عدي (٢/ ٧١٩-٧٢٠) وفي جمع الفوائد للمغربيّ: ج٣، ص٢٩٥، حديث ٩٠١٦، عن ابن الزبير، وفي كتاب الأمثال لأبي الشيخ الأصبهانيّ: ص٢٤٧، حديث ٣٣٣، كنز العمال: ج١٢، ص٩٩، شواهد التنزيل للحسكانيّ: ج١، ص٣٦٢، تنبيه الغافلين لابن كرمة: ص١٣٨.

يُغْفَرْ لَهُ، فإنّها ليستْ من فئةٍ تبلغُ مائةً إلى يومِ القيمةِ إلّا أنا أعرفُ نَاعِقَها وسَايقَها، وعِلْمُ ذلكَ عِندَ أهلِ بَيتي يَعلَمُه كَبيرُهم وصَغيرُهُم»[1].

٣- ورواه الطبرانيّ.

وقد رواه عن أبي ذرّ، عن النبيِّ (صلّى الله عليه وآله)، فقال:

«وإنّما مَثَلُ أهلِ بيتي فيكُم مِثْلُ بابِ حِطَّةٍ في بَني إسرائيل مَن دَخَلَهُ غُفِرَ لَهُ»[2].

٤- رواية الحافظ السيوطيّ.

وفي لفظٍ آخر رواه السيوطيّ (ت٩١١هـ): عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، قال:

«عَلِيٌّ بابُ حِطَّةٍ، مَنْ دَخَلَ مِنهُ كانَ مُؤمِنًا، وَمَنْ خَرَجَ مِنهُ كانَ كافِرًا»[3].

ولا يخفى على المتتبِّع أنّ باب حِطّة في بني إسرائيل كان هو الوسيلة الابتلائيّة للأُمّة فضلًا عن كونه الوسيلةَ المهمّة في تأطير الأمن الفكريّ لهم.

ثالثًا- الاستشهادُ بمَثَل الشَّجَرة:

أخرج الحاكم الحسكانيّ، وابنُ حجر العسقلانيّ وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف، قال: «سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، يقول:

أنا الشجرةُ وفاطمةُ فَرعُها، وعليٌّ لقاحُها، والحسَنُ والحسَينُ ثمرتُها

---

(١) بصائر الدرجات: ص٣١٧.

(٢) المعجم الكبير: ج٢ ص٢٢.

(٣) الجامع الصغير: ج٢ ص١٧٧ برقم:٥٥٩٢.

وشيعتُنا وَرَقُها وأَصلُ الشجرةِ في جنَّةِ عَدْنٍ وسائرُ ذلك في سَائرِ الجنَّةِ»[1].

رابعًا- الاستشهاد بمَثَلِ الميزان:

روى الديلميُّ والمناويُّ، عن ابن عبّاسٍ عنه (صلّى الله عليه وآله) أنّهُ قال:

«أنا ميزانُ العِلِم، وعليٌّ كفَّتاهُ، والحسَنُ والحُسَينُ خُيوطُهُ، والأئمّةُ مِن أُمَّتي عَمُودُهُ، وفاطمةُ علاقتُه تُوزَنُ فيهِ أعمالُ المحبِّينَ لنا، والمبغِضينَ لنا»[2].

خامسًا- الاستشهاد بمَثَلِ الكنز وذي القرنين:

روى صاحب نوادر الأُصول: «عن عليٍّ [عليه السلام]، قال:

قال رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلم): إنّ لك في الجنّة كنزًا وإنّك ذو قَرْنيها فلا تَتبِعنَّ من النظرة النظرة فإنّ لك الأُولى وليستْ لكَ الأُخرى»[3].

سادسًا- الاستشهاد بمثل الشمس والقمر والفرقدين:

روى الشيخُ الطوسيّ بسنده: «عن موسى بن جعفر، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليٍّ (عليهم السلام)، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال: صلّى بنا رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يومًا صلاة الفجر، ثمّ انفتل وأقبل علينا يُحدِّثُنا، فقال:

---

(١) مستدرك الحاكم: ج٣، ص١٦٠، شواهد التنزيل للحسكانيّ: ج١، ص٤٠٨، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج١٤، ص١٦٨، الإصابة لابن حجر: ج٦، ص٣٠٦، فضائل أمير المؤمنين لابن عقدة الكوفيّ: ص١٥٨، البصائر والذخائر لأبي حيّان التوحيديّ: ج١، ص٣١٣، الأمالي للطوسيّ: ص٦١١.

(٢) مسند الفردوس للديلميّ: برقم ١٠٧، إتحاف السائل للمناويّ: ص٧، حديث ٣٩.

(٣) نوادر الأصول في أحاديث الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) للحكيم الترمذيّ: ج٣، ص١٨١، مسند أحمد: ج١، ص١٥٩.

أيّها الناسُ، مَن فَقَدَ الشمسَ فَليَتمسَّك بالقمرِ، ومَن فقدَ القمرَ فَليَتمسَّك بالفَرقَدَينِ.

قال: فقمتُ أنا وأبو أيّوب الأنصاريّ ومعنا أنسُ بن مالك، فقُلنا: يا رسولَ الله، مَنِ الشمس؟

قالَ: **أنا**، فإذا هو (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ضرب لنا مثلًا، فقال: **إنّ الله تعالى خلقنا وجعلنا بمنزلة نجوم السماء كُلّما غابَ نجمٌ طلعَ نجمٌ، فأنا الشمسُ فإذا ذُهِبَ بي فتَمسَّكُوا بالقمر.**

قلنا: فمَنِ القمر؟

قال: **أَخي ووَصيِّي ووَزيري وقاضي ديني وأبو ولدي وخليفتي في أهلي عليّ بن أبي طالب.**

قلنا: فمَنِ الفرقدان؟

قال: **الحسنُ والحسينُ**، ثُمّ مكث مَلِيًّا، وقال: **فاطمةُ هي الزهرة، وعترتي أهلُ بيتي هم مع القرآنِ والقرآنُ معهم، لا يفترقانِ حتّى يَرِدا عليَّ الحوضَ**»[1].

وهذه الأحاديث النبويّة إنّما جاءت لبيان السبيل لتحقيق الأمن الفكريّ، وعصمة العقل من الانحراف والضلال ومن ثَمَّ الهلاك في الدنيا والآخرة؛ وذلك عند انحراف العقل في الوجهة واتِّباع أهل البدع وأئمّة الباطل، وتَرْك أئمّة الهدى والحقِّ والصدق.

(١) الأمالي: ص٥١٦ - ٥١٧.

المبحث الخامس:

منهاجُ النبيِّ (ﷺ) في تأصيل الأمن الفكريّ عبر وسيلة التحذير وتلازمه مع المنهج القرآنيّ

- توطئة:

يتنقل النبيُّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) بعد استعانته بجملةٍ من القصص والأمثال في تأصيل الأمن الفكريّ في الأُمّة كي يُحقِّق لها العيشَ الكريم والنجاةَ في الدُّنيا والآخرة، إلى منهاجٍ آخر؛ وذلك عبر بيان مجموعةٍ من المحاذير والتوصيات لأصحابه والأُمّة جمعاء، وليقطع الطريق على الكفّار والمنافقين وأصحاب القلوب المريضة في تسميم الأفكار وهلاك الدين والدنيا؛ وذلك عبر المسائل الآتية:

المسألة الأولى: الاستعانة بالمنهج القرآنيّ في عرض المحاذير التي تُؤدّي إلى انعدام الأمن الفكريّ.

يبدأ (صلّى الله عليه وآله) بعد تلك المرحلة التأصيليّة للأمن الفكريّ بمجموعة من المحاذير والتوصيات لغرض بناء الأمن الفكريّ في الأُمّة، وقد سلك النبيُّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في هذا التحذير مسلكَ القرآن الكريم؛ وذلك لما جاءت به مجموعةٌ من الآيات الكريمة الدالَّة على أُسس بناء الأمن الفكريّ؛ وهي:

١. قال تعالى: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[1].

(١) آل عمران: ١٠٥.

٢. وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[١].

٣. وقال عزّ وجل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾[٢].

والآيات الكريمة تكشف -بما لا يَقبَل اللَّبس- عن وجود عناصر انعدام الأمن الفكريّ في الأُمّة؛ وهم أولئك الذين يسعون في بَثِّ الفرقة بين الناس، ومن ثَمَّ فإنَّ قيامَ النبيِّ (صلّى الله عليه وآله) بالتركيز على البيان القرآنيّ دافِعُه إرادة النجاة لهم من المخاطر التي سيلقونها من بعده والتي ترتكز على انعدام الأمن الفكريّ وتجلِّي مظاهره في الفرقة والتشتُّت؛ ولذا ينتقل إلى جملةٍ من المواقف؛ ومنها:

أوّلًا- التحذير مِنَ الانقلاب على ثوابت الرسالة المحمّديّة:

١- ما أخرجه البخاريّ «عن أبي زرعة عن جرير أنّ النبيَّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال له في حجّة الوداع: **اسْتِنْصِتِ**[٣] **الناسَ**، فقال: **لا تَرجِعُوا بَعدِي كُفّارًا يَضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ**»[٤].

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) الأنعام: ١٥٩.

(٣) أي: أُطلب منهم أن ينصتوا لك.

(٤) صحيح البخاريّ، كتاب العلم: ج١، ص٣٨، وينظر: صحيح مسلم، باب: تسمية العبد، ج١، ص٥٨.

وممّا لا شكَّ فيه أنَ المراد برجوعهم كفّارًا هو لاختلافاتهم في الفكر والعقيدة إلى الحدِّ الذي يُكفّرُ بعضهم بعضًا فيستحلّ قَتْلَ أخيه المسلم، وما يشهده العالمُ الإسلاميّ اليوم من اقتتال وتكفيرٍ بين الفِرَق والجماعات والمذاهب، فضلًا عن تفشّي الفكر التكفيريّ، هو خيرُ شاهدٍ على هذا الحديث الشريف، وهذا أوّلًا.

٢- إنّ إطلاقه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لهذا التحذير في هذه السَنة -أي: عام الفتح- ليكشف عن ترسيخه للأمن الفكريّ في الأُمّة، لا سيّما وأنّ ذلك قبل وفاته بعامين، ومن ثَمَّ فهو قد أبلغ الأُمّة بما تحتاج إليه من أحكام دينها ولم يَبْقَ إلّا بيان الثوابت التي يُحرَزُ بها الأمنُ الفكريّ الذي به يتحقَّق الأمن الاجتماعيَ والاقتصاديَ والنفسيَ.

ثانيًا- إعلانه (ﷺ) عن الخليفة المجعول من الله تعالى لرَدْعِ الفِرقة من بعده:

لم يَغِبْ عن ناظر النبيِّ (صلّى الله عليه وآله) ما عرضه القرآنُ من مناهج اتّبعها الأنبياءُ (عليهم السلام) في دَرْءِ الفتنة وحِفْظِ مَن آمنَ منها؛ ألا وهي فتنة التفرّق، وتحديدًا التفرّق من بعد وفاتهم؛ ولا سيّما ما بيَّنه القرآن في استخلاف هارون (عليه السلام)، ومن ثَمَّ فقد حدَّد لهم مَنْ يرجعون إليه بعد وفاته كي يأمنوا على دينهم وعقيدتهم؛ أي الإعلان والتبليغ عن الخليفة والوصيِّ من بعده والذي تَمَّ في حجّة الوداع عند رجوعه من مكّة إلى المدينة؛ فقال في غدير خم: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاه فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاه، اللّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**»[1].

(١) مسند أحمد، من حديث قيس بن أبي عزرة، ج٤، ص٢٨١.

المسألة الثانية: إخباره (ﷺ) عن افتراق الأُمّة من بعده وتحذيره من مخاطره.

تضافرت النصوصُ النبويّة الشريفة في بيان منهج النبيِّ (صلّى الله عليه وآله) في إعذار نفسه أمام الله تعالى عبر بيانه أثَر التفرُّق والعصيان لأمره على الأُمّة؛ ولا سيّما مَنْ كانوا في موضع المواجهة وما يترتّب عليه من انتهاكٍ للأمن الفكريّ ونَشْرِ التطرُّف؛ فمنها:

١- **أخرجَ الحاكم النيسابوريّ** عن عوف بن مالك، عنه (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: «**ستفترق أُمّتي على بعضٍ وسبعينَ فرقةً أعظَمُها فرقةُ قومٍ يَقيسونَ الأمورَ برأيِهم فيُحرِّمونَ الحلالَ ويُحلِّلونَ الحرامَ**»(١).

٢- أخرجَ الترمذيّ عن أبي هريرة، أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: «**تفرّقتِ اليهودُ على إحدى وسبعينَ فرقةً أو اثنتينِ وسبعينَ فرقةً، والنصارى مثلُ ذلك، وتَفترِقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً**»(٢).

٣- وأخرج ابن ماجة، عن أنَس بن مالك، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «**إنّ بني إسرائيلَ افترقتْ على إحدى وسبعينَ فرقةً، وإنّ أُمّتي تَفترِقُ على اثنتينِ وسبعينَ فرقةً، كُلُّها في النّارِ إلّا واحدةً؛ وهي الجماعةُ**»(٣).

ولا شكّ أنّ الافتراق أصبح حقيقةً واقعةً في الأُمّة مُنذ القرن الأوّل للهجرة وإلى يومنا هذا، إلّا أنّ ما نسبه الرواةُ في ذيل الحديث في خصوص الفرقة

(١) مستدرك الحاكم: ج٤، ص٤٣٠.

(٢) سُنن الترمذيّ: ج٤، ص١٣٤.

(٣) سنن ابن ماجة: ص١٣٢٢.

الناجية وهي (الجماعة) هو دخيل على الحديث مُتقوَّلٌ فيه على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؛ وذلك لمجموعةٍ من الأسباب؛ وهي كما يأتي:

١. إنّ كلَّ فرقةٍ من فِرق المسلمين تدَّعي أنّها الفرقةُ الناجية، ولو عَلِمَ أبناء هذه الفرقة أنّهم من أهل النار لَما بقوا تحت رايتها يومًا واحدًا، إلّا اللّهُمَّ مَنْ أراد الإثمَ والعصيان والطاغوتيّة.

٢. إنّ لفظ (الجماعة) هو دخيل على عصر النبوَّة والخلافة، وقد ظهر بعد استشهاد أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه)؛ وذلك بعد أنْ تمّت اتفاقية الهدنة بين خليفة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) وبين معاوية بن أبي سفيان صاحب الفرقة الباغية القاتلة للصحابي الجليل عمّار بن ياسر (عليه الرحمة والرضوان) في معركة صِفّين، ومن ثَمَّ فقد سُمِّي هذا العام الذي التقى فيه أهلُ الشام والعراق بعام (الجماعة)؛ فأصبحت هذه المفردة منذ ذلك الوقت تحت رعاية الرواة ودراهم ودنانير معاوية بن أبي سفيان كي تكون إحدى الدعائم لملك بني أمية.

٣. إنّ صَدْرَ الحديث ومضمونه ودلالته تتعارض مع ذيل الحديث وذلك؛ إنّ مُعظم الفِرق الإسلاميّة تُسمِّي نفسها بـ(أهل السُنّة والجماعة)، ومن ثَمَّ من أين تفرقت هذه الفِرق وهي تجتمع تحت معتقدٍ واحد؟ وأنّ هذا التفرُّقَ يُطلَقُ عليه لفظ (الجماعة) فأين دلالة لفظ (الجماعة) ومصاديقه الخارجية الفرقة بين المسلمين إلى مذاهب ومعتقدات؟! فهذا مخالف ومعارض للعقل البشريّ، ولتحقيق الأمن الفكريّ.

٤. حينما يكون هناك تفرُّقٌ إلى هذا العدد فلا بُدّ أنْ تكون -بسياق هذا الحديث النبويّ- هناك فرقةٌ واحدةٌ من هذه الفِرق، وهي التي التزمت الخطَّ المستقيم، وثبتتْ على دين الله وسُنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

وإنّ هذه الفرقة هي التي يتحقّق فيها الأمنُ الفكريّ، أمّا ما عداها فقد وقعت في التطرُّف والانحراف والإرهاب، وإنّ دراسة هذه الانحرافات والتطرُّف لدى هذه الجماعات لتجتمع مع جميع الفرق من حيث مرتكزات عقيدتها وثوابتها التي نشأت عليها، وهذا الأمر لا يحتاج إلى تدليلٍ في العصر الحالي مع تقدُّم وسائل البحث والمعرفة، وإنّ جميع هذه الفِرق لا تخرج عن التمسُّك بعدالة الصحابة وتوجِبُ عدم الدخول فيما شجر بينهم، ومن ثَمَّ قَطْعُ الطريق على معرفة المرتكزات التي تُحقِّق الأمنَ الفكريّ للمسلمين، إذ السؤال المطروح: من أين جاء هذا التطرفُّ والانحراف ليتوَّج بالإرهابِ والتكفيرِ والدعواتُ عند الجميع عند قَطْعِ الرؤوس هي: (الله أكبر)؟!!

نتائج البحث:

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، فمنها:

١- إنّ مصطلح (الأمن الفكريّ) انبثق بسبب المتغيّرات السياسيّة التي تعصف بالبلاد الإسلامية فكانت ركائز المفهوم تتناسب مع سياسة السلطة وتوجّهاتها الفكريّة.

٢- إنّ تأصيل مفهوم المصطلح وتأطيره وفق القرآن والسُنّة يُعدُّ بنيةً مفاهيميّة مستقلّة عن المدارس الفكريّة الأخرى، وإنِ اتَّحدتْ جميعُها في استخدام لفظ (الأمن الفكريّ) ودَعَتْ إليه.

٣- إنّ تحقيق الأمن للفكر يكون عبر استعصامه بالثقلين كتاب الله وعترة النبيِّ (صلّى الله عليه وآله)؛ وهو ما أثبتته النصوصُ والوقائعُ والأحداثُ التاريخيّة والحياتيّة للمسلمين منذ أنْ تُوفِّي النبيُّ (صلّى الله عليه وآله) وإلى يوم الورود عليه (صلّى الله عليه وآله) عند الحوض في ساحة المحشر.

التوصيات:

خلصت الدراسةُ إلى مجموعةٍ من التوصيات، وهي على النَّحْوِ الآتي:

١- نَشْرُ الوعي القرآنيّ والنبويّ بين مختلف طبقات المجتمع المسلم.

٢- التصدِّي للشُبُهات العقديّة والثقافات الهجينة على المجتمع الإسلاميّ عبر النُّخب العلميّة والفكريّة الرصينة.

٣- تفعيل آليّات الخطاب المعاصر المؤطَّر بالقِيم والمفاهيم الإسلاميّة الأصيلة عبر مواقع التواصل الاجتماعيّ.

٤- إقامة الندوات الفكريّة للنُخب التربويّة والتدريسيّة ولكافّة المراحل الدراسيّة.

٥- تهذيب المناهج الدراسيّة من الانحرافات الفكريّة والشُبُهات العقديّة والقِيَم المناقِضَة للأخلاق الإسلاميّة.

ملحق الدراسة:

الأسئلة التي طُرِحَتْ على الباحث في الندوة الفكريّة عبر الحوار التفاعليّ

- توطئة:

تضمّنت الندوةُ العلميّة والفكريّة التي أقامها معهدُ القرآن الكريم للدراسات والبحوث التابع للعتبة العبّاسيّة المقدّسة في النجف الأشرف جُملةٍ من الأسئلة الفكريّة والعقديّة بعد تقديم الباحث لمادّة البحث؛ ممّا أضفى على البحث إضاءات معرفيّة متعدِّدة، وقد انقسمت الأسئلةُ على قسمين؛ الأول: الأسئلة التي أجاب عليها الباحثُ في أثناء الندوة العلميّة، والأخرى: الأسئلة التي لم يتمكّن الباحث من الإجابة عليها؛ لانتهاء الوقت المقرَّر لفقرة الحوار والأسئلة؛ فتمّ جَمْعُها وتسليمُها للباحث للإجابة عليها لاحقًا، لتضاف إلى البحث عند طباعته. وهي على النَّحْوِ الآتي:

أولًا- الأسئلة المباشرة: وقد نُظِّمتْ على وفق معطياتها الفكريّة.

١- مصطلح الأمن الفكريّ والمعاصرة:

السؤال: الأمنُ الفكريّ مصطلحٌ معاصر، وقوام دساتير بلدان وقوانين الأُمم المتحدة غالبًا ما تربطُ قضايا الأمن الفكريّ بالقوانين الوضعيّة، غير أنّه الآن في العصر الحديث ارتبط الأمن الفكريّ بشكل متطرِّف جدًّا لديهم بقضية استهداف الإسلام، وأصبح عنوان الأمن الفكريّ يُساوي (الإرهاب)، والإرهاب يساوي التطرّف الإسلاميّ، فكيف يمكن تبويب هذا الجانب؟

الجواب: لا شكّ بأنّ المصطلحَ معاصرٌ، وكان من اهتمامات الجمعية العامّة للأمم المتحدة، إذ

تمّ دراسة هذا المصطلح وتعريفه بغية الوصول إلى تعريفٍ جامع مانع؛ وذلك أنّ وَضْعَ التعريفِ لأيِّ مصطلحٍ، يُمكِّن أهل الشأن من استنباط التشريعات، فإذا كان المعنى أو التعريف مضطربًا أو المفهوم غير مرتكز فلا تتحقّقُ التشريعات، ويبدو أنّ مصطلح (الإرهاب) لم يكن رائجًا آنذاك، أو لم يكن عامًّا وشاملًا بهذا الشكل الذي نراه اليوم، وقد عَرَضْتُ على حضراتكم عبر البحث أنّ أكثر مَن اهتمّ بهذا المصطلح هي الدول الإسلاميّة، ولا سيّما المؤسّسات الأمنيّة أو بعض الجامعات ذات التخصُّص الأمنيّ؛ فقد جاءت إلى دراسة هذا المصطلح وأوجدت له بعض التعريفات، وسنويًّا يخرجون بنتائج وتوصيات تدعو إلى التمسُّك بالسلف الصالح؛ أي بنفس الدعوات التي كان يدعو لها ابنُ تيميّة وغيرُه وإلى يومنا هذا؛ ممّا أعطى تناغُمًا مع المفاهيم والرؤى التي نشأتْ عليها الجماعات الإرهابيّة في العالم الإسلاميّ، فكلٌّ منهم ينتهل من فكر ابن تيميّة وفتاواه في تكفير المخالفين لهذا الفكر.

في حين أنّنا نجد عبر الدراسة أنّ المفهوم القرآنيّ والنبويّ للأمن الفكريّ هو جذريّ وتأصيليّ؛ وذلك لكونه من أهمّ ما يحتاج إليه الإنسان ويبحث عنه، ومن ثَمَّ فهل الأمن ينحصر في كيفيّة أن يأمَن الإنسانُ على نفسه وماله كما هو معروف في معنى هذه المفردة منذ أنْ وُجِد الإنسانُ، أم أنّ المنطلق الذي يصل الإنسان عبره إلى تحقيق الأمن الحياتيّ ويأمن

على ماله وعيشه يكون بوجود الدولة والقانون والسلطة أم يكون عبر تحقيق الأمن الفكريّ، أي إنّ الفكر إذا سَلِمَ من الشوائب والانحراف وإذا كان التفكير قويمًا وسليمًا تحقَّقَ الأمنُ النفسيّ والأُسَريّ والغذائيّ، وإجمالًا الأمن الحياتيّ.

بمعنى أنّ المعنيِّين بالأمن نظروا إلى كيفيّة أنْ يكون الإنسان عنصرًا فاعلًا في تحقيق الأمن في المجتمع، أي لا يتوقّف الأمر على الدولة، بل على إمكانية أنْ يكون الإنسانُ هو نفسه عنصرًا عاملًا في تحقيق الأمن؟ قالوا: نعم هناك إمكانيّة؛ وتتحقّق عبر حفظ فكر الإنسان من هذه الشوائب، ولا شكّ أنّ هذا منهج فلسفيّ عَمِلَ عليه الفلاسفةُ منذ أفلاطون، لكن الآليّات والمفاهيم تتوسّع وتتضيّق بحسب المعطيات التي يعيشها الإنسانُ.

نعم: هو من حيث التأصيل قديمٌ لكن بَرَزَ بلحاظ التزامن مع الحركات التكفيريّة المعاصرة؛ أي بعد أنْ جاء الإرهابُ وأدواتُه إلى المجتمع الإسلاميّ وغير الإسلاميّ؛ كظهور داعش وغيرها من الحركات التكفيريّة والعنصريّة.

وعليه: فإنّ تأريخ ظهور المصطلح جاء بعد ظهور الإرهاب، لكنّه في الأساس موجود كمفهوم، وإنْ كانت الدول قد دعت إليه، ولا يخفى عليكم - وأنتم أستاذ في اللغة والأدب[1] - أنّ التداوليّة نشأت بعد الحرب العالمية الثانية وهدفها في الواقع الوصول إلى ما يعصم الإنسانُ به فكرَه ونفسَه من الوقوع في الهلاك والحرب، فجاؤوا إلى اللُّغة بوصفها العامل الأصيل والموصِل إلى حفظ كيان الإنسان وحفظ ذهنه من هذه الشوائب والانحرافات.

(١) الخطاب موجه إلى السائل وهو أحد أساتذة جامعة الكوفة وعميد سابق لكلية التربية الأساس.

٢- تأصيل تطبيقات الأمن الفكريّ من الأحداث الحَرِجة في تاريخ الإسلام، وما دور عنصر الاجتهاد في تأمين الفكر؟

السؤال: هل تأصيل تطبيقات الأمن الفكريّ يُعدّ من الأحداث الحَرِجة في تاريخ الإسلام، وما دور الاجتهاد في تأمين الفكر؟

الجواب: السؤال يتكون من شقّين:

أ- تأصيلُ ما يرتبط بالأحداث التاريخيّة.

فإنّ الحقيقة المستخلَصة من التاريخ الإسلاميّ في غاية الألم، وهي على خلاف ما نَظَّرَ له القرآن الكريم؛ فالآية المباركة: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[1] هي أعظم تنظير وتطبيق في آنٍ واحد للأمن الفكريّ في الشريعة، وإنّ منهاج النبيِّ (صلّى الله عليه وآله) في المدينة قد ضمن الحريات المختلفة للأقليّات والرعايا الموجودة من الأديان الأخرى، وقد عاشت تحت ظِلِّ الإسلام دون أنْ تتعرّض في دينها إلى التنكيل والإرهاب ما لم يبدأوا الحربَ على الإسلام.

ولكن ما جرى بعد رحيل النبيِّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) من اجتهاداتٍ أمام النصِّ قلب الموازين وأنتج لنا خللًا فكريًّا تسبَّب في وقوع أحداثٍ مأساويّة لم تزل الأُمّةُ تعاني من تَبِعاتها.

ب- بالنسبة للشقّ الثاني من السؤال: كيف يرتبط الاجتهاد بالأمن الفكريّ؟

الجواب: لو رجعنا إلى مفهوم الأمن الفكريّ في القرآن والسُنّة نجد أنّ قضيّة الحُكم الشرعيّ واستنباطه وإطلاقه قد جعلها القرآنُ والنبيُّ (صلّى الله

(١) البقرة: ٢٥٦.

عليه وآله) في المعصوم (سلام الله عليه)، ولا يخفى على حضراتكم أنّ باب الاجتهاد عند الإماميّة (أعلى الله شأنهم) لم يُعمَل به إلى الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر المهديّ المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)؛ وذلك لوجود المعصوم (عليه السلام).

أما في الغيبة الكبرى فقد فُتح بابُ الاجتهاد وحَصَرَهُ المعصومُ (عليه السلام) في الفقيه الجامع للشرائط فكان هو الطريق إلى الأمن الفكريّ، ومن ثَمَّ فهذه الفترة من عمر الإسلام؛ أي منذ أنْ بُعِث النبيُّ (صلّى الله عليه وآله) ونزول القرآن إلى نهاية الغيبة الصغرى كانت مُحرِزةً للأمن الفكريّ، فبوجود المعصوم (سلام الله عليه) -وهو المتصدِّي لبيان الحكم ولإرشاد الناس وحفظ الأُمّة- الأمن الفكريّ مُتحقِّقٌ فيها، وهو الأصل الذي أوصى به النبيُّ (صلّى الله عليه وآله) أُمّته وأمرهم بالتمسُّك بالثقلين (القرآن والعترة).

السؤال: أمّا إغلاق باب الاجتهاد؟

الجواب: فهذا عند المذاهب الأخرى؛ فقد أُغلق الاجتهادُ في الحكم الشرعيّ في العبادات والمعاملات وجرى الأمرُ عندهم على الرأي والقياس والمصالح المرسَلة، والحُسن والقُبح العقليّين، وكلُّ ذلك لا يُحرِزُ فيه الأمنُ الفكريّ؛ بل هو مُعارِضٌ لقول رسول الله (بالتمسُّك بالقرآن وعترته أهل بيته) وبخلافه لا يأمن المسلمُ من الضلال ولا يُحرِزُ الأمنَ الفكريّ.

٣- مرجعيّة الأمن الفكريّ في عصر الغيبة:

السؤال: الله سبحانه وتعالى أرجع الأمنَ الفكريّ من خلال إرجاع الأمور إلى الرسول وأولي الأمر، ولكن في عصر الغيبة إلى أين نرجع حتّى نُرجعَ الأمنَ

الفكريّ للمجتمع والفرد بالرغم من كثرة القراءات في القرآن والسُّنّة لبيان الأمن الفكريّ؟

الجواب: الإجابة واضحة ومعمول بها وذلك عبر النصِّ الشريف الذي ورد عن الإمام العسكريّ (عليه السلام) في بيان شرائط الفقيه الذي يرجع إليه العوامُّ من الناس؛ قال (عليه السّلام):

«مَنْ كان من الفُقهاءِ صَائنًا لنفسه، حافِظًا لدينه، مخالِفًا لَهَواهُ، مُطيعًا لأمرِ مَولَاهُ فَلِلْعَوامِّ أنْ يُقلِّدُوه»[1].

فحدَّد الإمامُ (عليه السلام) في هذه الفترة (فترة الغيبة الكبرى) الرجوعَ إلى المرجعية الدينيّة، ولله الحمد الذي حفظ هذه الطائفة الحقّة الإماميّة بوجود المرجعيّة الدينيّة، ولولا وجودها المبارك لكان حالنا كبقيّة الفِرق والمذاهب الإسلاميّة، ومن ثَمَّ يبقى الأصلُ في تحقيق الأمن الفكريّ عبر الرجوع إلى المرجع الدينيّ الجامع لشرائط التقليد، وكلُّها معروفة إنْ شاء الله.

٤- مصطلح الأمن بين حماية السُّلطة الحاكمة وتحقيق الأمن الفكريّ للمجتمع.

السؤال: نحن نعلم أنّ مصطلح (الأمن) جميلٌ جدًّا، لكن أحيانًا ينتقل الذهن إلى شيءٍ آخر؛ لأنّ مصطلح (الأمن) متعلِّق بالشرطة السريّة في النظام السابق (جهاز الأمن)، وهذه الأجهزة كانت مُهمَّتها حِفْظَ السُّلطة وليس حِفْظَ الشعب، فهذه المؤتمرات التي تُقيْمها الدولُ هل هي لحماية الدولة أم السُّلطة السياسيّة؟ فإذا كان حماية الدولة فهنا لا نراه في الواقع ولا نرى الأمن

(١) البيان، الشهيد الأول: ص٨، العروة الوثقى، السيّد اليزديّ، باب شرائط المجتهد: ج ١ ص ٢٦.

الحر، ومع هذا نجد التباين بين الأمرين؛ فإن الأمن الفكريّ في الشرق غير الأمن الفكريّ في الغرب وغير الذي في العراق؟

الجواب: بالنسبة للسؤال الأول، لا شكّ أنّنا بيَّنا في المحاضرة وقلنا: إنّ كلَّ هذه التعريفات التي تناولتها الدراسة، يَرِدُ عليها إشكالاتٌ ولا سيّما مفهوم مصطلح (الأمن الفكريّ) ودلالته، بل وجدنا أنّ هذه التعريفات التي تعدَّدت وتنوَّعت في عالمنا العربيّ والإسلاميّ هي كلّها تدعو إلى حِفْظِ الدولة ومؤسَّساتها وقد ضربنا مثالًا للمؤتمرات التي تُقام والتوصيات التي تخرج عن هذه المؤتمرات؛ فغالبها يُراد منها حِفْظُ هيبة الدولة وبقاء السُّلطة.

وهذه المشكلة ليست في المصطلح وإنّما بتجيير المصطلح؛ فبعض الدول تُقِيم المؤتمرات والندوات من أجل أنْ تُسخِّر هذا المصطلح لبقاء الدولة والساسة، وليس لحفظ العقل الجمعيّ من التأثيرات الفكريّة المتطرّفة؛ وذلك أنّ الحركات التكفيريّة تسعى إلى توجيه الفكر لمشروعها السلطَويّ عبر المفاهيم الدينيّة التي تتماشى مع رؤيتها.

لكنّنا عندما نأتي إلى القرآن الكريم وإلى النبيِّ (صلّى الله عليه وآله) والنصوص التي استشهدنا بها عبر الدراسة، نجدها جميعًا تُركِّز على كيفيّة عصمة الذهن من الانحراف والشُّبُهات؛ وذلك ابتداء من التعرُّض للشرك -والعياذ بالله-، فالمثال الذي يعرضه القرآن في سيرة نبيِّ الله إبراهيم (عليه السلام) يُركِّز على أنّ المفهوم القرآنيّ للأمن هو حفظ عقل الإنسان من الوقوع في الانحراف، وتحقيق الأمن لهذا الفكر ابتداء من دَفْعِ الظلامة وهو الشرك والإقرار بالتوحيد وسريان هذا المفهوم فيما بين الناس.

فعندما أكون أنا مُوحِّدٌ لله تعالى وأنت موحِّد لله توحيدًا مقتضيًا للشروط -كما ورد في الخبر عن الإمام الرضا (عليه السلام) في الحديث المشهور المعروف بحديث سلسلة الذهب[1]- والكل يخشى اللهَ؛ يتحقَّقُ الأمنُ في ذلك.

٥- تعدُّد الوسائل التعليميّة في السيرة النبويّة:

السؤال: قلتم أنّ النبيَّ (صلّى الله عليه وآله) قد استعمل الوسائل التعليميّة ومن ضمنها الوسائل البصريّة والسَّمعيّة، ومنها حديث الكساء، فكيف يكون للوسيلة البصريّة مع أنّ الحاضرين فقط محمّد وآل محمّد (عليه وآله الصلاة والسلام) وبعض الروايات تُشير إلى حضور أُمّ سَلَمة (عليها الرحمة والرضوان). فهل توجد وسيلة بصريّة أخرى؟

الجواب: بالنسبة للوسائل التعليميّة التي استخدمها النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في خصوص حديث الكساء، فإنّ المتبادر إلى الذهن -خصوصًا في

(١) روى الشيخ الصدوق (رحمه الله) في الأمالي بسنده إلى إسحاق بن راهويه، قال:

لمّا وافى أبو الحسن الرضا (عليه السلام) بنيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا ابن رسول الله ترحل عنّا ولا تُحدّثنا بحديثٍ فنستفيده منك؟ وكان قد قعد في العمارية، فأطلع رأسه وقال:

«سمعتُ أبي موسى بنَ جعفر يقول: سمعتُ أبي جعفر بن محمّد يقول: سمعتُ أبي محمّد بن عليّ يقول: سمعتُ أبي عليّ بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين ابن عليّ بن أبي طالب يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب يقول: سمعتُ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول: سمعتُ جبرئيل يقول: سمعت الله جل جلاله يقول: لا إله إلّا الله حصني فمن دخله أمن من عذابي.

قال: فلمّا مرّت الراحلة نادانا. بشروطها وأنا من شروطها.

قال مصنِّف هذا الكتاب: من شروطها الإقرار للرضا (عليه السلام) بأنّه إمام من قِبَل الله عَزَّ وجَلّ على العباد، مفترَض الطاعة عليهم». (الأمالي: ص٢٥ حديث ٢٣)

الموروث الإماميّ- أنّ حديث الكساء جرى في بيت الزهراء (عليها السلام)؛ كما ورد في الخبر المرويَّ عن جابر بن عبد الله أنّه قال:

سمعتُ فاطمةَ أنّها قالت:

«دخل عليَّ أبي رسول الله في بعض الأيّام فقال: السلام عليك يا فاطمة، فقلتُ: عليك السلام، قال: إنّي أَجدُ في بَدَني ضعفًا. فقلت له: أُعيذك بالله يا أبتاه من الضعف، فقال: يا فاطمَة! إيْتيني بالكساء اليمانيّ فغطّيني به، فأتيتُه بالكساء اليمانيّ فغطّيتُه به، وصرتُ أنظرُ إليه وإذا وجهُه يتلألأ كأنّه البدرُ في ليلةِ تمامهِ وكماله...»[1]، إلاّ أنّ الحديث الشريف وردَ بألفاظٍ متعدِّدة وفي غير بيت فاطمة (عليها السلام)، وهذا يكشفُ عن أنّ النبيَّ (صلّى الله عليه وآله) كرّر هذا الفعل.

ففي بعض الروايات أنّ النبيَّ (صلّى الله عليه وآله) أَجلسَ الحسنَ عن يمينه والحسينَ عن يساره، ثُمّ أجلسَ فاطمةِ بين يديه، وأجلس عليًّا خلفَه، فجعل ظهر عليٍّ على ظهره، وهذه الرواية عن عائشة، ومن ثَمَّ فالحديث حدث في بيت عائشة وليس فقط في بيت الزهراء (عليها السلام)، أو بيت أُمّ سَلَمة، وإنْ كانت أغلب روايات أبناء العامّة تَروي رواية أُمّ سَلَمة، وهي الأكثر شهرة، فأنا وجدتُ روايةً عن عائشة تروي بهذه الكيفيّة: أنّ النبيَّ أَجلسَ عليَّ بن أبي طالب (عليه السلام) وجعل ظهره إلى ظهره؛ وطبعًا هذا فيه دلالة كبيرة أنّ الذي يأتي إلى النبيِّ (صلّى الله عليه وآله) من الخلف أوّل

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، إصدار معهد باقر العلوم (عليه السلام): ص٧٥.

ما يُقبِلُ على وجه عليٍّ بن أبي طالب، وإلّا كان بالإمكان وَضْعُ وجه الإمام إلى ظهره، فأجْلسه بالعكس، وتكرّر هذا الحديث.

ومن الشواهد الأخرى التي استخدمها النبيُّ (صلّى الله عليه وآله) ما رواه أحمد بن حنبل والحاكم النيسابوريّ عن ابن عبّاس، قال: «خَطَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في الأرض أربعة خطوط ثُمّ قال: **أتدرون ما هذا؟**

فقالوا: الله ورسوله (صلّى الله عليه وآله) أعلم، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

أفضلُ نساءِ أهلِ الجنّة خديجة بنتُ خويلد، وفاطمةُ بنتُ محمّد [صلّى الله عليه وآله]، وآسيةُ بنتُ مزاحِم امرأةَ فرعون، ومريمُ ابنة عمران»[1].

ومن الوسائل الأخرى ما رواه أحمد بن حنبل والدارميّ عن عبد الله بن مسعود، قال:

«خط لنا رسولُ الله (صلّى الله عليه وسلم) خطًّا ثُمّ قال: **هذا سبيلُ الله**، ثُمّ خَطَّ خُطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثُمّ قال: «**هذهِ سُبُلٌ مُتفرِّقةٌ على كلِّ سبيلٍ شيطان يدعو إليه**، ثُمّ قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾[2]»[3].

فمثَّل لهم الخطَّ الواحد بالخطِّ المستقيم؛ كي يُثير فيهم الحاسّةَ البصريّة والسمعيّة لترسيخ مفهوم التمسُّك بسبيل الله وأنّ التفرقةَ والتحزُّبَ قائدُهم

(١) مسند أحمد: ج١ ص٢٩٣.

(٢) الأنعام: ١٣٥.

(٣) مسند أحمد: ج١ ص٤٣٥، سنن الدارميّ: ٦٧.

فيه الشيطانُ؛ وغيرها من الأمثلة الكثيرة والتي يُمكن لأحدِ الباحثين أنْ يتبنّى هذه الشواهد ليصوغَ منها موضوعًا في استخدام النبيّ (صلّى الله عليه وآله) للوسائل التعليميّة في بيان دلالة الأحكام والشريعة.

٦- السعة المعرفيّة لدائرة الأمن الفكريّ في الشريعة الإسلاميّة:

السؤال: أحببتُ أنْ تنطوي ورقتكم البحثيّة على بعض الأمور التي سأُشيرُ إليها:

أ- قد ورد في دائرة التشريع والأحكام الفرعيّة الكثيرُ من المفردات التي تُؤصِّل لهذه القضيّة وتُعالِجُها من الناحية الفكريّة؛ من قبيل حظر كتب الضلال.

ب- دائرة الاعتقاد والدرس الكلاميّ نجد أنّ مفردة (الغلاة) ومفردة (أهل البِدع) حاضرتان في الدرس الكلاميّ على المستوى القديم وعلى المستوى المعاصر وإنكار الضروري، وهذا البحثُ يستحقُّ أنْ نقف عنده.

ج- نسأل ماهي الآليّات والوسائل والأدوات التي استعملها الأئمّةُ (سلام الله عليهم) في معالجة الأمن الفكريّ؟ لأنّ المطَّلِعَ على تراثهم ويقرأ سِيرهم يجد أنّ لهم أدواتٍ وأساليبَ استعملوها في الأُمّة من أجل التحصين الثقافيّ والفكريّ؛ من قبيل المحاورات العلنيّة مع أصحاب الملل والنِّحل، ومن قبيل صناعة المفكِّرين والباحثين المتخصِّصين من أمثال هُشام بن الحكم؛ فهل لنا أنْ نفتحَ باب التأصيل من جديد على اعتبار أنّ الأمن الفكريّ يتعلّق بمساحة واسعةٍ قد أصّل لها الأئمّةُ؛ من قبيل تعزيز مبدأ العدالة الاجتماعيّة والأمن الاقتصاديّ في حفظ شخصيّة الفرد المؤمن من ناحية التقسيم الثقافيّ، فهل لنا

أن نُؤصّل ونُعيد قراءة الأدوات والأساليب الاجتهاديّة بما يتناسب مع النوازل المعاصِرة في تأصيل هذه المسالة؟

الجواب: باختصار -وذلك لضيق الوقت المقرر-: لا شكّ أنّ موضوع الأمن الفكريّ واسع، وقد عرَضتُ على حضراتكم أنّ هناك دراساتٍ أكاديميّةً ومؤتمراتٍ وندواتٍ وكلّها تصبُّ في هذا المصبّ؛ أي تقديم رؤى جديدة، ومن المُفرِح جدًّا أنْ يتبنّى هذا المشروع مجموعة من الباحثين في العلوم الإسلاميّة وفقَ منهج أهل البيت (عليهم السلام) ومعطياتهم في ترسيخ الأمن الفكريّ في الأُمّة؛ سواء عبر المباحث الفقهيّة، أو الكلاميّة، أو التاريخيّة والسيريّة، ويُقدِّموا دراساتٍ جديدةً تكون فيها إضافاتٌ معرفيّة لبيان هذا المصطلح وآليات العمل به وتأصيله، فالموضوع واسع ولا يمكن حصره على هذه العجالة، التي حاولنا فيها تقديمَ رؤيةٍ بحثيّة في تأطير الأمن الفكريّ وتأصيله في القرآن والسُّنّة النبويّة فضلًا عن أصلِ نشوء هذا المصطلح وتعريفه ومفهومه.

٧- موقع فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تفعيل الأمن الفكريّ:

السؤال: هل الأمن الفكريّ يدخل في موضوعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويلحق به منهجًا وفلسفةً، أم أنّه بابٌ آخرُ وموضوعٌ مختلفٌ؟

الجواب: لا شكّ أنّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مدخليّةً كبيرة في تحقيق الأمن الفكريّ؛ لأنّه عبر هذه الفريضة المباركة ينتبه الإنسان إلى كثيرٍ من الأمور التي هي مغايرة للشريعة ومُنكَرة ومخالفة لها، وبالتالي تصبُّ هذه الفريضة في تحقيق الأمن الفكريّ، ومن خلاله تتحقّق بقيّةُ الوسائل في الأمن

الاقتصاديّ، والسياسيّ، والمجتمعي، مع شروطها التي وضعتها الشريعةُ المقدَّسة.

٨- مراعاة المتغيّرات الزمانيّة والمكانيّة في منظومة الأمن الفكريّ القرآنيّة.

السؤال: هل القرآن الكريم أعطى ضابطةً لحزام الفكر الإنسانيّ كفكر عامّ؛ لأنّ الفكر بطبيعته يختلف من بيئةٍ إلى بيئةٍ أُخرى، وهناك تعدُّدٌ في الفكر فما هي الضابطة لهذا الأمن؟

الجواب: لا شكّ أنّ الفكر وهو بهذه التركيبة التي جعلها اللهُ تعالى في الذهن معطاءٌ ومتقبّل لكثيرٍ من الوجهات التي تَرِدُ على الإنسان، ومن ثَمَّ فنحن بحاجةٍ لعملية إحصاء دقيقة للآيات المباركة وأنْ نستخرجَ من هذا الاستقراء أكثرَ من ضابطةٍ، فلا شكّ أنّ القرآن الكريم غزير بمادته العلمية.

٩- الموقف الإبراهيميّ من الأصنام في منطق الأمن الفكريّ وأثر الحوار في تنمية الفكر.

السؤال: قد يُقال إنّ النبيَّ إبراهيم (عليه السلام) في موقفه من المشركين والكُفّار عندما قام يُكسِّر الأصنام التي يعبدونها، بأنّه بهذا الفعل مخالفٌ للأمن الفكريّ؛ لأنّ الحوار هو الأسلوب الأهمّ في الدعوة إلى الله وهذا ما قام به مع عَبَدَةِ الكواكب والنجوم؟

الجواب: إنّ الحوار هو الوسيلة الأساس للوصول إلى الأمن الفكريّ، فبدون الحوار لا يمكن إقناع الطرف المقابل بأنْ يَعصم فكرَهُ من الانحراف والوقوع في هذه الظلامة، ظلامة العقل، فلا بُدّ من وجود حوار، أمّا بترك الحوار فقطعًا لا يمكن أنْ نصل، فتكسير الأصنام ليس مخالفًا للأمن

الفكريّ بل هو صعقة للفكر؛ لأنّ إبراهيم عندما كسّر الأصنامَ وضع الفأس في عُنق كبير الأصنام، وبالتالي أراد من هذا الفعل تحريكَ الذهن، وأنّ هذه الحجارةَ غيرُ قادرةٍ على دَفع الضرر عن نفسها، فكيف لها أنْ تدفع الضرَّ عن الإنسان؟! ومن ثَمَّ فتكسيره الأصنامَ هو لجرِّهم إلى الحوار المقرون بحُجّةٍ دامغة بأنّهم يعبدون حجارةً لا تضرُّ ولا تنفعُ.

ثانيًا- الأسئلة التي وردت للباحث بعد انتهاء الوقت المحدَّد.

السؤال الأول: ماهي الخطوات المنهجيّة المعاصرة لتأصيل الأمن الفكريّ؟

الجواب: يمكن جَمْع الخطوات المنهجيّة المعاصرة لتأصيل الأمن الفكريّ في ثلاثةِ أمورٍ؛ وهي:

١- الإكثار من القراءة للكتب التي تشتمل على المباحث العقديّة لعلماء الطائفة.

٢- إقامة الندوات الفكريّة والبحثيّة ودعوة الباحثين والطلبة والقُرّاء للمشاركة والحضور، ونشر أعمال هذه الندوات عبر الوسائل المتاحة ولا سيّما مواقع التواصل الاجتماعيّ.

٣- التمسُّك بالمرجعية الدينيّة للطائفة الإماميّة (أعلى الله شأنها) والامتثال لتوجيهاتها الرشيدة.

السؤال الثاني: كيف يمكن الإفادة من الوسيلة التعليميّة في تثبيت وتأصيل الأمن الفكريّ؟

الجواب: بيَّنا عبر المحاضرة: أنَّ الثمرة التي يجنيها الباحث عبر استخدامه للوسيلة التعليميّة هو سرعة إيصال مقاصد البحث إلى المتلقّي فضلًا عن

ترسيخها في الفكر؛ وذلك لاشتراك حاسّة السمع والبصر في عملية التلقِّي.

السؤال الثالث: كيف يمكن معرفة الأعداء الفكريّين في ضوء النصِّ القرآنيّ حتّى يُؤخَذ الحذر منهم والاستعداد لمواجهتهم؛ لأنّ الأعداء يستعملون أساليبَ التخفّي ويظهرون بمظهر الأصدقاء؟

الجواب: لا يمكن معرفة الأعداء الفكريّين بالاعتماد على النصِّ القرآني فقط، بل هنا تكمن المشكلة؛ وذلك أنّ هذه الدعوة أُطلِقت في الأيّام الأخيرة من حياة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في الرزيّة المعروفة بـ: (رَزِيّة يوم الخميس) حينما منعوا رسولَ الله (صلّى الله عليه وآله) من أنْ يكتب لهم كتابًا لن يضلُّوا من بعده؛ فقالوا: (حسبنا كتاب الله) فكانت هذه الدعوة مُناهِضةً ومُعارِضةً لحديث الثقلين (كتاب الله وعترة النبيّ صلّى الله عليه وآله)؛ وذلك أنّها دعت إلى التمسُّك بثقل واحد، وهو كتاب الله ونَبْذِ الثقل الثاني فوقعت الفتنة في الأُمّة واتَّبعَ كثيرٌ من الناس الأعداءَ الفكريّين للقرآن والعترة النبويّة (عليهم السلام)؛ فأحدَثُوا المحدَثات وابتدعوا في أحكام الله، وذلك لاتِّباعهم أهواءهم.

وفي هذه الحقيقة قال أمير المؤمنين الإمام عليّ (عليه السلام):

«إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ الله، ويَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ الله، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ، لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، ولَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ، انْقَطَعَتْ عَنْه أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، ولَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ ومِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِه، ويَنْجُو ﴿الَّذِينَ

سَبَقَتْ لَهُمْ﴾ مِنَ الله ﴿الْحُسْنى﴾[1]»[2].

السؤال الرابع: هل هناك ارتباطٌ بين الأمن الفكريّ والأمن اللُّغويّ؟ وإذا حصل اختراق في الأمن اللُّغويّ كيف يتمّ إيجاد الحلول الوقائيّة؟

الجواب: إنّ المراد من الأمن اللُّغويّ هو وقايتها من الدخائل؛ كالمفردات الأعجميّة، واللهجات العاميّة، ممّا يؤدّي إلى إدخال مفاهيم ومعانٍ مغايرة لمقاصد الكلمات التي نزل بها القرآن وحديث المعصوم (عليه السلام)، ومن ثَمَّ انعكاس ذلك على الفكر لمغايرة المفاهيم والمعاني القرآنيّة والنبويّة.

ولذا: نجد في بعض الدول العربيّة التي أدخلتْ في لُغتها لُغاتٍ أعجميّة اضطرب عندها المعنى والمفهوم للمفردة؛ فأخذتْ كثيرٌ من الجهات المعنيّة بالمعاجم العربيّة البحثَ عن معانٍ توافق دلالة المفردة الأعجميّة، ومن ثَمَّ أوْجدَتْ هذه المعاجمُ مفاهيمَ متعدِّدةً تتفاوت وقد تتقاطع مع مقاصد القرآن والسُّنّة النبويّة.

أمّا الحلول فتكمن في العديد من السُبل؛ فمنها: الحَثُّ على تعلُّم لغة القرآن عبر الإكثار من محافل التلاوة وضَمّ أحكام التلاوة والنصوص القرآنيّة في المناهج الدراسية بجميع مستوياتها، وأنْ لا يقلّ اهتمام وزارة التربية والتعليم العالي عن اهتمامها باللُّغة الإنكليزيّة وإنْ كانت المادّة الدراسيّة مواكبةً للتخصُّصات في العلوم الطبيعيّة والتطبيقيّة، وغيرها.

(١) الأنبياء: ١٠٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٥١.

السؤال الخامس: ذكرتُم أنّ من أهمّ موارد تأصيل الأمن الفكريّ هما القرآن والسُنّة، فما هو تفسيرُكم للأوضاع التي يمرُّ بها المسلمون من فقدان الأمن الفكريّ، ونرى أنّ بلاد غير المسلمين متمسِّكين بالكثير من هذه المبادئ الإسلاميّة السامية؟

الجواب: بالنسبة للأوضاع التي يمرُّ بها المسلمون اليوم، والتي مرُّوا بها في الماضي، وسيمرُّون بها في المستقبل، هي نتاجُ تخلِّيهم عن التمسُّك بالثقلين «كتاب الله وعترة النبيِّ صلّى الله عليه وآله».

أمّا بالنسبة للمبادئ الإسلاميّة التي نجدها عند غير المسلمين فعائد إلى الأُصول الأخلاقيّة وليس جميع المبادئ؛ وذلك أنّ الإنسان بطبعه مدنيّ يألَفُ ويؤتَلَفُ، ومِن ثَمَّ فهو بحاجةٍ إلى المبادئ التي تُنظّم له مدنيّتهُ في التعايش؛ سواء كانت هذه المبادئ عبر الشرائع السماويّة أو الشرائع الأرضيّة كما يحدث في البلاد التي لا تَتَّخذ أيَّ ديانةٍ سماويّةٍ في قانونها.

وإنّما تعتمد على القوانين والقواعد التي تُنظّم التعايشَ وتحفظ الحقوقَ وتُنمّي المدنيّة، وهذه المبادئ هي مشتركة في جميع الشرائع والفلسفات؛ لأنّها من فِطرة الإنسان، كالصدق، والأمانة، والرِّفق، واحترام الآخر، وحفظ الحقوق، وغيرها، وممّا يدلّ عليه قولُ رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «**إنَّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخْلاقِ**»[1] فهو كاشفٌ عن وجود مكارم الأخلاق في المجتمع العربيّ وهم على وثنيّتهم كالكرم، والشجاعة، والوفاء بالعهد، وغيرها.

(١) السنن الكبرى، البيهقيّ: ج١٠ ص١٩٢.

ولقد تناولتُ هذا الموضوع ضمن دراسة مقارنة والموسومة بـ: (الحقوق المدنيّة والسياسيّة بين العهد الدوليّ للجمعيّة العامّة للأُمم المتّحدة وعهد الإمام عليّ (عليه السلام) لمالك الأشتر). وخلصت الدراسةُ إلى المشتركات بين العَهدين بنسبة ستين بالمائة على الرغم من الفارق الزمنيّ بين العَهدين والبالغ ألفًا وأربعمائة سنة، وهذا يكشف عن أنّ المبادئ التي تُنظّم الحياة المدنيّة متقاربة في المواثيق والعهود والشرائع بين بَني البشر.

وعليه: يكون الأمن الفكريّ موضوعه في سلامة الفكر من الشُّبُهات والتطرُّف الذي يؤدّي إلى نَبْذِ الآخر وحَرْبِه وسَلْبِ حُقوقه في المال والعِرْض والحياة؛ وأصل تحقيقه التوحيد وشرطُ التوحيد الإمامة المجعولة من الله تعالى؛ لقول الإمام الرضا (عليه السلام) في الحديث المتواتر والموسوم بحديث سلسلة الذهب:

«**وَأَنا مِنْ شُرُوطِها**»[1].

وليست الإمامة المجعولة عبر الشورى أو الانتخاب وغيرها؛ فتلك إمامة سياسيّة مجعولة من التحسينات العقليّة كما بيَّنه أميرُ المؤمنين الإمامُ عليّ (عليه السلام) في فتنة الخوارج لمّا رفعوا شعارَ: (لا حُكمَ إلّا لله)، فقال (عليه السلام):

«**كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ، نَعَمْ إِنَّه لَا حُكْمَ إِلَّا لله، ولَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ إِلَّا لله، وإِنَّه لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِه الْمُؤْمِنُ، ويَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، ويُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الأَجَلَ، ويُجْمَعُ بِه الْفَيْءُ، ويُقَاتَلُ بِه**

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٣٠٦.

الْعَدُوُّ، وتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، ويُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حتّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ ويُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ»[1].

السؤال السادس: ورد عن النبيِّ (صلّى الله عليه وآله)، أنّه قال:

«**عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ**» وهذا الحديث يمكن أنّ يكون طريقًا من طُرق الأمن الفكريّ؛ لأنّ السير على نهج الإمام عليٍّ (عليه السلام) يُنجي الإنسانّ من الضلال والانحراف؛ فهل يُعارض هذا الحديثُ ما ورد عن الإمام علي (عليه السلام): «..**إنّ الحقَّ والباطلَ لا يُعرفان بأقدارِ الرجالِ، وبإعمال الظنِّ، اعرِفِ الحقَّ تَعرِفْ أَهلَهُ، واعرِفِ الباطِلَ تَعرِفْ أَهلَهُ**»[2].

الجواب: ليس هناك أيُّ تعارضٍ بين الحديثَين، بل هما مُتعاضِدَان ويسيران جنب إلى جنب في تحقيق الأمن الفكريّ؛ وذلك أنّ مَنِ التبَسَ عليه الأمرُ في تشخيص الحقِّ وأهله فعليه بالرجوع إلى حديثِ رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

ومن غاب عنه الحديثُ أو شكَّك فيه أو ضَعَّفَهُ أو طعن في سنده فعليه بالرجوع إلى القاعدة والضابطة الفكريّة في تشخيص أهل الحقِّ؛ وهي عبر معرفة (الحقِّ) فإنّه يقودُ إلى معرفة أهله، وإنّ معرفة الباطل تقودُ إلى معرفة أهله.

السؤال السابع: إنّ انقسام المسلمين إلى فِرَقٍ ومذاهب متعدِّدة، هل يمكن أنْ نعدّ هذا بسبب فقدان الأمن الفكريّ؟ وماهي أسبابُ فقدانه؟

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم (٤٠).

(٢) أنساب الأشراف، البلاذري: ج٢ ص٢٧٤، البيان والتبيين، الجاحظ: ص٤٩١، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢١٠.

الجواب: لا شك إن لهذا التفرّق أسبابه العديدة، ومنها غياب الأمن الفكريّ ضمن أصوله وضوابطه التي بيّنها القرآن والنبي (صلّى الله عليه وآله) والإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وبقيّة أئمّة العترة (عليهم السلام)، كما مرَّ بيانُه عبر المحاضرة.

أمّا بقيّة الأسباب فكثيرةٌ لا يمكن حَصْرُها في هذه العُجالة، ويمكنكم الرجوع إلى بعض الدراسات التي تناولتُ فيها هذا الموضوع، منها:

١- الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة.

٢- الأمن الفكريّ في نهج البلاغة.

٣- اغتيال التوحيد.

٤- أثر رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في إحياء التوحيد وتوحيد الفكر.

٥- دور الخطاب الدينيّ في تغيير البنية الفكريّة.

فقد تناولتُ في هذه الدراسات وغيرها الأسبابَ التي أدّت تفرّق المسلمين إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة، فضلًا عمّا مرَّ بيانه عبر هذه الدراسة.

السؤال الثامن: هل أنّ الأمن الفكريّ على درجاتٍ ومراتب؟ وماهي أعلى درجاته وأقلّها؟ وماهي السُّبل لتقوية الأمن الفكريّ؟

الجواب: ممّا لا ريبَ فيه أنّ الأشياءَ لها سُلَّمٌ مراتبيّ وتكامليّ ولا سيّما المباحث الشرعيّة والعقليّة والفكريّة والتربويّة، والبحث الذي بين أيدينا هو للتعريف بالمصطلح ونشأته ومفهومه وترسيخه في الأُمّة عبر الرجوع إلى القرآن والنبيِّ (صلّى الله عليه وآله) والعترة النبويّة (عليهم السلام).

والمستفاد عبر هذه الدراسة أنّ أعلى مراتب الأمن الفكريّ هو الإخلاص في التوحيد؛ وذلك لقوله تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[1].

وقال أميرُ المؤمنين الإمام عليٌّ (عليه السلام): «..**أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُه وكَمَالُ مَعْرِفَتِه التَّصْدِيقُ بِه، وكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِه تَوْحِيدُه، وكَمَالُ تَوْحِيدِه الإِخْلَاصُ لَه، وكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَه نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْه، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّه غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَه فَقَدْ قَرَنَه، ومَنْ قَرَنَه فَقَدْ ثَنَّاه ومَنْ ثَنَّاه فَقَدْ جَزَّأَه، ومَنْ جَزَّأَه فَقَدْ جَهِلَه ومَنْ جَهِلَه فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْه، ومَنْ أَشَارَ إِلَيْه فَقَدْ حَدَّه ومَنْ حَدَّه فَقَدْ عَدَّه، ومَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَه، ومَنْ قَالَ عَلَا مَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْه...**»[2].

تَمَّ بفَضْلِ اللهِ وفَضْلِ رَسولِهِ (صلّى الله عليه وآله)

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١) البينة: ٥.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

❖ **النتاج العلميّ والفكريّ للباحث في التأليف والتحقيق.**

لقد منَّ الله سبحانه عليه بالتوفيق واللُّطف الخفيّ وأكرمه بالعمل في خدمة مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وإحياء أمرهم، فوفّق للبحث والتحقيق والكتابة منذ العام (١٩٩٤م)، وما يزال بفضل الله تعالى وفضل رسوله (صلى الله عليه وآله) مشتغلًا بالبحث والكتابة والتحقيق، مشمولًا ببركات جدّته البضعة النبوية فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام)، صدرَ لهُ أكثرُ من مئةِ كتابٍ في حقولٍ معرفيّةٍ وفكريّة عِدّة، تواشجت مع بعضها البعض، وذلك للوصول إلى نتائج علميّة ومعرفيّة جديدة ودقيقة – سيمرّ بيانها – وهي على النحو الآتي:

١ـ القرآن والتفسير.

٢ـ السيرة النبويّة.

٣ـ الإمام علي (عليه السلام).

٤ـ فاطمة الزهراء (عليها السلام).

٥ ـ أم المؤمنين خديجة (عليها السلام).

٦ـ الإمام الحسن (عليه السلام).

٧ـ الإمام الحسين (عليه السلام)

٨ـ الصحيفة السجادية.

٩ـ نهج البلاغة

١٠ـ التاريخ

١١ـ الأنثروبولوجيا.

١٢ـ الميثولوجيا.

١٣ـ الحديث النبويّ.

١٤ـ فقه الأخلاق.

١٥ـ فلسفة اللُّغة.

١٦ـ الفقه المقارن.

١٧ـ أصول الفقه.

١٨ـ علم الكلام.

١٩ـ الفلسفة.

٢٠ ـ تحقيق المخطوطات.

وقد توّلت -بحمد الله- العتبة الحسينية المقدسة طباعتها وإصدارها جميعًا، وهي على النحو الآتي مع وصف ببليوغرافي لها:

١ـ الجمال في عاشوراء، درّاسة وصفية في ضوء القرآن والسُنّة وعلم المعرفة الحسيّة «الإستطيقا» عدد الصفحات: (٢١١)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية- العتبة الحسينية المقدسة، طبع طبعتين، الأولى عام ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م - النجف الأشرف، والثانية عام ١٤٣١هـ / ٢٠١٢م، طبع مؤسسة الأعلمي - بيروت.

٢ـ ثقافة العيدية، دراسة وتحليل الخطاب، عدد الصفحات: (٧٩)،

قيـاس: (رقعـي)، (١١ × ١٥)، إصـدار قسـم الشـؤون الفكريـة، طبـع ثـلاث طبعـات، الأوّلى النجـف الأشرف عـام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، والثانيـة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م النجـف الأشرف، والثالثـة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م- إصـدار قسـم الشـؤون الفكريـة- العتبـة الحسـينية المقدسـة، طبـع مؤسسـة الأعلمـي - بـيروت.

٣ـ اليحمـوم، فـرس جبرائيـل (عليـه السـلام) في عاشـوراء في القـرآن والسُـنّة والتاريـخ والأدب، دراسـة وتحليـل وتحقيـق، عـدد الصفحـات: (١٥٦)، قيـاس: (وزيـري)، (١٧ × ٢٤)، إصـدار قسـم الشـؤون الفكريـة، طبـع طبعتـين، الأولى النجـف الأشرف عـام ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، والثانيـة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، طبـع مؤسسـة الأعلمـي - بـيروت.

٤ـ أبـو طالـب (عليـه السـلام) ثالـث مـن أسـلم، بحـث اسـتدلالي عـدد الصفحـات: (٢٠٧)، قيـاس: (وزيـري)، (١٧ × ٢٤)، إصـدار قسـم الشـؤون الفكريـة- العتبـة الحسـينية المقدسـة، طبـع مرتـين، الأولى النجـف الأشرف عـام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، والثانيـة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، طبـع مؤسسـة الأعلمـي - بـيروت.

٥ـ حقيقـة الأثـر الغيبـي في التربـة الحسـينية، دراسـة وتحليـل، عـدد الصفحـات: (١٦٠)، قيـاس: (وزيـري)، (١٧ × ٢٤)، إصـدار قسـم الشـؤون الفكريـة، طبـع مرتـين، الأولى عـام ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م - بـيروت، والثانيـة عـام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، طبـع مؤسسـة الأعلمـي - بـيروت.

٦ـ موجـز علـم السـيرة النبويـة، منهـج دّراسي، عـدد الصفحـات: (٣١٧)،

قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية– العتبة الحسينية المقدسة، طبع مرتين، الأولى عام ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، والثانية عام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، طبع مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٧ـ الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين (عليه السلام)، دراسة وتحليل في ضوء القرآن والسُنّة وعلم الإناسة، عدد الصفحات: (٢٠٨)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، الطبعة الأولى عام ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، إصدار قسم الشؤون الفكرية– العتبة الحسينية المقدسة، طبع مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٨ ـ الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد شيخ كتّاب السيرة النبوية محمد بن إسحاق أنموذجاً، دراسة وتحليل، عدد الصفحات: (٤٠٠)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، الطبعة الأولى عام ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، إصدار قسم الشؤون الفكرية– العتبة الحسينية المقدسة، طبع مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٩ـ حركة التاريخ وسنّنه عند عليّ وفاطمة (عليهما السلام)، دراسة اَسلامية معاصرة في فلسفة التاريخ، عدد الصفحات (١٦٠)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، الطبعة الأولى عام ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، إصدار قسم الشؤون الفكرية– العتبة الحسينية المقدسة، طبع مؤسسة الأعلمي – بيروت.

١٠ـ دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء بين النظرية العلمية والأثر الغيبي، دراسة وتحليل، (١-٢ كتاب) عدد الصفحات

(٦٥٢)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية – العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م مؤسسة الأعلمي - بيروت.

١١ـ خديجة بنت خويلد (عليها السلام) أمة جمعت في اَمرأة، درّاسة وتحقيق، (١-٤ كتاب)، عدد الصفحات: (١٠٩٤)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية – العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م - بيروت / الأعلمي.

١٢ـ المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب (عليه السلام) أَمْ حكيم بن حزام؟ دراسة وتحقيق، عدد الصفحات: (١٤٤)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤) إصدار قسم الشؤون الفكرية– العتبة الحسينية المقدسة، ط ١ مؤسسة الأعلمي – بيروت.

١٣ـ تكسير الأصنام بين تصريح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعتيم البخاري، دّراسة في الميثولوجيا والتاريخ ورواية الحديث، عدد الصفحات: (٢٩٦)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية– العتبة الحسينية المقدسة، طبع مؤسسة الأعلمي – بيروت.

١٤ـ ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، درّاسة وتحقيق، عدد الصفحات (١٧٦)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية– العتبة الحسينية المقدسة، طبع مؤسسة الأعلمي – بيروت.

١٥ـ سبايا آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ دراسة في تاريخ سبي

النساء وعلّة إخراج الإمام الحسين (عليه السلام) عياله إلى كربلاء، درّاسة وتحقيق، عدد الصفحات: (٢٤٧)، قياس : (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدّسة، طبع مؤسسة الاعلمي – بيروت.

١٦ـ باب فاطمة (عليها السلام) بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة، دراسة وتحقيق، عدد الصفحات: (٢١٥)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدّسة، طبع مؤسسة الأعلمي – بيروت.

١٧ـ الاستراتيجية الحربية في عاشوراء بين تفكير الجند وتجنيد الفكر، درّاسة وتحليل في ضوء القرآن والسُنّة وفنون الحرب وعلم النّفس العسكري، عدد الصفحات: (٣٠٤)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدّسة، طبع مؤسسة الأعلمي – بيروت.

١٨ـ موسوعة هذه فاطمة (عليها السلام)، دراسة وتحليل، (١ ــ ٨ كتاب) عدد الصفحات:(٢٧١٤)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدّسة، طبع مؤسسة الأعلمي – بيروت.

١٩ـ ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخي، درّاسة وتحقيق، عدد الصفحات: (١٤٤)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدّسة، طبع مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٢٠ـ وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وموضع قبره وروضته بين اَختلاف أصحابه واَستملاك أزواجه، درّاسة وتحليل وتحقيق، عدد الصفحات: (٣٥٠)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدّسة، طبع مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٢١ـ اَستنطاق آية الغار وإشكالية التنصيص الحديثي بين التثنية والتثليث، دراسة وتحليل وتحقيق، عدد الصفحات: (١٥٢)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدّسة، طبع مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٢٢ـ دوّر الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية، خطاب العقيلة زينب (عليها السلام) في الكوفة أنموذجاً، درّاسة في ضوء القرآن والسُنّة وعلم النّفس الاجتماعي، عدد الصفحات: (٢٣٨)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدّسة، طبع مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٢٣ـ الأمن الفكري في نهج البلاغة دراسة في ضوء القرآن والسُنّة وعلم الانثروبولوجيا الثقافية لبيان مشروع الإمام علي (عليه السلام) في مواجهة الإرهاب والتطرف، عدد الصفحات: (٣١٠)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، ط١ دار الكفيل- كربلاء.

٢٤ـ الأمن الإنساني في خلافة الإمام الحسن (عليه السلام) دراسة مقارنة بين مفاهيم القرآن والعترة (عليهم السلام ومفاهيم الأمم

المتحدة، رؤى نظرية أَمْ وسائل تطبيقية. عدد الصفحات: (١٨٤)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، ط١ دار الكفيل- كربلاء.

٢٥ـ معارج العلا في مناقب المرتضى (عليه السلام)، تصنيف: الشيخ محمد صدر العالم العمري الدّهلوي الصوفي من أعلام القرن الثاني عشر للهجرة، تحقيق وتعليق وتوثيق، (١-٢ كتاب)، عدد الصفحات (٦٤٨) قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، ط١دار الوارث - كربلاء

٢٦ـ فاطمة (عليها السلام) في نهج البلاغة، مقاربة تداولية في قصديةِ النصِّ ومقبوليتهِ واستكناهِ دلالتهِ وتحليلهِ، (١ - ٥ كتاب)، عدد الصفحات: (١٢٢١صفحة)، قياس : (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، ط١ ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الكفيل ـ كربلاء .

٢٧ـ اَغتيال التوحيد في ضوء الانثروبولوجيا العقدّية والبنائية الوظيفية لخطاب الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، دراسة بينية، عدد الصفحات: (٢٧٢)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٢٨ـ أثر رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في إحياء فكر التوحيد وتوحيد الفكر، في ضوء النظرية الوظيفية والضمير الجمعي، دراسة بينية،

عـدد الصفحـات: (٢١٦)، قيـاس: (وزيـري)، (١٧ × ٢٤)، طبـع ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م، إصـدار مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة، العتبـة الحسـينية المقدّسـة، دار الـوارث ـ كربـلاء.

٢٩ـ خصومـة فاطمـة (عليهـا السـلام) عنـد ابـن عثيمـين، قـراءة في المرتكـزات الفكريـة والمفاهيميـة في ضـوء القـرآن والسُـنّة، دراسـة بينيـة، (١-٢ كتـاب)، عـدد الصفحـات: (٤٣٠)، قيـاس: (وزيـري)، (١٧ × ٢٤)، ط١ -١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م، إصـدار مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة، العتبـة الحسـينية المقدّسـة، دار الـوارث ـ كربـلاء.

٣٠ـ إفـراغ السـجال في حديـث النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه): «هـي لـك يـا عـلي لسـتَ بدجّـال»، عـدد الصفحـات: (١٥١)، قيـاس: (وزيـري)، (١٧ × ٢٤)، ط١-١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م، إصـدار مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة، العتبـة الحسـينية المقدّسـة، دار الـوارث ـ كربـلاء.

٣١ـ معارضـة حديـث «لا نـورث» للقـرآن والسُـنّة واللغـة، دراسـة بينيـة، عـدد الصفحـات: (٢٥٩)، قيـاس: (وزيـري)، (١٧ × ٢٤)، طبـع ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م، إصـدار مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة، العتبـة الحسـينية المقدّسـة، دار الـوارث ـ كربـلاء.

٣٢ـ إرث النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) بـين منـع النبـوة ودفـع فاطمـة (عليهـا السـلام) دراسـة فقهيـة مقارنـة، عـدد الصفحـات: (٢٦٤)، قيـاس : (وزيـري)، (١٧ × ٢٤)، طبـع ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م ، إصـدار مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة، العتبـة الحسـينية المقدّسـة، دار الـوارث ـ كربـلاء .

٣٣ـ ما أنكره أعلام أهل السُنّة والجماعة فيما شجر بين أبي بكر وفاطمة (عليها السلام)، دراسة بينية، عدد الصفحات: (١٨٣)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٣٤ـ ما كتمه البخاري في ظلامة فاطمة (عليها السلام) وأظهره مسلم، دراسة بينية، عدد الصفحات: (٢٠٧)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٣٥ـ مغالطات المحدّثين والمفسّرين في نِحلة سيدة نساء العالمين (عليها السلام)، دراسة بينية، عدد الصفحات: (٢٨٧)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٣٦ـ ردّ ادعاء الجبائي وابن أبي الحديد المعتزلي بتأخير فاطمة (عليها السلام) دعوى النحل على إرث النبي (صلى الله عليه وآله)، دراسة بينية، عدد الصفحات: (١٩٢)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٣٧ـ حرب الكلمة في إقرار الخليفة بحقوق فاطمة (عليها السلام) بين قوله (لا نورث) و(يرثه أهله)، دراسة بينية، عدد الصفحات: (١٣٢)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م، إصدار مؤسسة

علـوم نهـج البلاغـة، العتبـة الحسـينية المقدّسـة، دار الـوارث ـ كربـلاء.

٣٨ـ مـا شـجر بـين أزواج النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) وعائشـة وأثـره في إظهـار إرث فاطمـة (عليهـا السـلام)، دراسـة بينية، عـدد الصفحـات: (١٤٤)، قيـاس: (١٧ × ٢٤)، طبـع ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م، إصـدار مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة، العتبـة الحسـينية المقدّسـة، دار الـوارث ـ كربـلاء.

٣٩ـ معارضـة خلفـاء المسـلمين لسُـنّة أبي بكـر في أمـوال بضعـة سـيدة المرسـلين (صـلى الله عليـه وآلـه)، دراسـة بينيـة، عـدد الصفحـات: (٢٠٠)، قيـاس: (وزيـري)، (١٧ × ٢٤)، طبـع ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م، إصـدار مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة، العتبـة الحسـينية المقدّسـة، دار الـوارث ـ كربـلاء.

٤٠ـ تأويـلات أعـلام أهـل السُـنّة والجماعـة في تـرك أبي بكـر سـلاح النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) ومتاعـه لفاطمـة (عليهـا السـلام)، دراسـة بينيـة، عـدد الصفحـات: (١٧٥)، قيـاس: (وزيـري)، (١٧ × ٢٤)، طبـع ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م، إصـدار مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة، إصـدار مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة، دار الـوارث ـ كربـلاء.

٤١ـ مبنـى حكـم لـزوم نفقـة أزواج النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) وسـكناهنّ في بيوتـه، دراسـة فقهيـة مقارنـة عـلى المذاهـب السـبعة، دراسـة فقهيـة مقارنـة، عـدد الصفحـات: (٢٨٧)، قيـاس: (وزيـري)، (١٧ × ٢٤)، طبـع ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م، إصـدار مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة، العتبـة الحسـينية المقدّسـة، دار الـوارث ـ كربـلاء.

٤٢ـ فقـه نهـج البلاغـة عـلى المذاهـب السـبعة، دراسـة فقهيـة مقارنـة، (١ –

١٢كتاب)، عدد الصفحات: (٣٢١٠ صفحة)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٤٣ ـ الحقوق المدنية والسياسية بين العهد الدولي للجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٦٦م وعهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله)، دراسة مقارنة، عدد الصفحات: (١٠٤)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

وقد تبنّت مؤسسة نهج البلاغة في طهران ترجمة الكتاب الى اللغة الفارسية وطبعه، قام بترجمته الأستاذ حسن رحماني، طبع ونشر مؤسسة نهج البلاغة وفرهنكسراي نهج البلاغة طهران، قياس : (رقعي) ، (١١ × ١٥)، الطبعة الأولى ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.

٤٤ ـ أثر الميثولوجيا العالمية في تكوين عقائد العرب قبل الإسلام في ضوء التاريخ ونهج البلاغة، دراسة بينية، عدد الصفحات: (٢٠٧)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء .

٤٥ ـ كاشفية خطاب الإمام علي (عليه السلام) عن أصول الرسوم المسيئة للنبي (صلى الله عليه وآله)، صحيح البخاري وصحيفة يولاندس بوسن مثالا، دراسة بينية، عدد الصفحات: (١٨٤)، قياس: (وزيري)، (١٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة،

العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٤٦ـ فقه صناعة الإنسان، الأوامر والنواهي في عهد مالك الأشتر مثالاً، دراسة في ضوء أصول الفقه والأخلاق، عدد الصفحات: (٢٩٦)، قياس: (وزيري)، (٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٣م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٤٧ ـ فقه مهارات التنظيم في نهج البلاغة، عهد مالك الأشتر اختيارا، دراسة بينية في ضوء فقه الأخلاق، عدد الصفحات: (١٤٩)، قياس: (وزيري)، (٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٤٨ـ فقه منع النّفس من التسرع إلى هواها في نهج البلاغة، عهد مالك الأشتر اختيارا، دراسة بينية في ضوء فقه الأخلاق، عدد الصفحات: (١٤٤)، قياس: (وزيري)، (٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٤٩ ـ فقه إدارة الغضب في نهج البلاغة، عهد مالك الأشتر اختيارا، دراسة بينية في ضوء فقه الأخلاق، عدد الصفحات: (١٣١)، قياس: (وزيري)، (٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٤م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٥٠- قيمة وقت الفراغ وآثاره في الدنيا والآخرة بين الصحيفة السجادية ونهج البلاغة، درّاسة تنموية مقارنة، عدد الصفحات (١٠٤)، قياس (وزيري)، (٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م، إصدار مؤسسة

علـوم نهـج البلاغـة، العتبـة الحسـينية المقدّسـة، دار الـوارث ـ كربـلاء.

٥١ ـ أثـار الغفلـة عـن التوبـة في الدنيـا والآخـرة بـين الصحيفـة السـجدية ونهـج البلاغـة، دراسـة تنمويـة مقارنـة، عـدد الصفحـات (١٤٨)، قيـاس (وزيـري)، (٧ × ٢٤)، طبـع ١٤٤٥هـ / ٢٠٢٤م، إصـدار مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة، العتبـة الحسـينية المقدّسـة، دار الـوارث ـ كربـلاء.

٥٢ـ طلـب الإصـلاح بـين القـرآن وعاشـوراء ونهـج البلاغـة، دراسـة في ضـوء تنميـة القيمـة الإنسـانية وتطويـر الـذات، قـراءة في المرتكـزات المفاهيميـة لخـروج الإمـام الحسـين (عليـه السـلام) وإشـكالية حديـث «خـير القـرون قـرني» وحديـث «عليكـم بسـنتي وسـنة الخلفـاء الراشـدين المهديين»، عـدد الصفحـات (٢٩٤)، قيـاس (وزيـري)، (٧ × ٢٤)، طبـع ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م، إصـدار مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة، العتبـة الحسـينية المقدّسـة، دار الـوارث ـ كربـلاء.

٥٣ ـ الحيـاة الأسريـة في بيـت عـلي وفاطمـة (عليهـما السـلام)، مقاربـات معرفيـة في ضـوء علـم الأخـلاق وعلـم الاجتـماع العائـلي»، عـدد الصفحـات (٢٦٠)، قيـاس (وزيـري)، (٧ × ٢٤)، طبـع ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م، إصـدار مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة، العتبـة الحسـينية المقدّسـة، دار الـوارث ـ كربلاء.

٥٤ ـ الطفولـة في بيـت عـلي وفاطمـة (عليهـما السـلام) مقاربـات معرفيـة في ضـوء علـم نفـس الطفـل وعلـم نفـس النمـو، عـدد الصفحـات (١٦١)، قيـاس (وزيـري)، (٧ × ٢٤)، طبـع ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م، إصـدار مؤسسـة علـوم نهـج البلاغـة، العتبـة الحسـينية المقدّسـة، دار الـوارث ـ كربـلاء.

٥٥ـ تأطير مفهوم الأمن الفكري في القرآن والسنّة النبوية المطهرة، دراسة وتحليل، عدد الصفحات (٩٤)، قياس (رقعي)، (١٢ × ٢٠)، الطبعة الأولى ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م، إصدار المجمع العلمي للقرآن الكريم – معهد القرآن الكريم في النجف الأشرف التابعان للعتبة العباسية المقدسة، دار الكفيل – كربلاء المقدسة.

٥٦ـ مقدّمة العبادات في نهج البلاغة على المذاهب الستة منهج دراسي في الفقه المقارن، عدد الصفحات (٢٩٢)، قياس (وزيري)، (٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٥٧ ـ مناهج شراح نهج البلاغة، منهج دراسي، عدد الصفحات (١٦٠)، قياس (وزيري)، (٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٥٨ ـ نصوص مختارة من نهج البلاغة في الحفظ والمعنى والدلالة – منهج دراسي، (١ – ٣ كتاب)، عدد الصفحات (٦٩٣)، قياس (وزيري)، (٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٥٩ـ موجز علم السيرة النبوية في ضوء التاريخ والسنّة ونهج البلاغة، منهج دراسي، عدد الصفحات (٢٨٥)، قياس (وزيري)، (٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٦٠ـ التأصيل المنهجي للأمن الفكري في القرآن والسُنّة النبوية، دراسة في الوسائل والأدوات والآثار لمواجهة الفكر المتطرف، عدد الصفحات (١٦٠)، قياس (وزيري)، (٧ × ٢٤)، طبع ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدّسة، دار الوارث ـ كربلاء.

٦١ـ جواهر الصاغة في جمع شروح نهج البلاغة، الخطبة الأولى (١ – ١٤ كتاب)، قياس (وزيري)، (٧ × ٢٤)، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م - دار الوارث.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

والحمد لله ربّ العالمين على فضله وفضل رسوله (صلى الله عليه وآله)
وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين
أساس الدين وعماد اليقين.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

١. **إتحاف السائل بما لفاطمة (عليها السلام) من المناقب والفضائل**، زين الدين محمّد المدعوّ بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن عليّ بن زين العابدين الحداديّ ثم المناويّ القاهريّ (ت: ١٠٣١ هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: عبد اللطيف عاشور، الناشر: مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

٢. **أثر الميثولوجيا العالميّة في تكوين عقائد العرب قبل الإسلام**، دراسة بينيّة في ضوء التاريخ ونهج البلاغة، السيّد نبيل الحسنيّ الكربلائيّ، إصدار مؤسّسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينيّة المقدّسة، ط١، ١٤٤٢هـ-٢٠٢٢م.

٣. **الاقتصاد**، الشيخ الطوسيّ (ت: ٤٦٠هـ)، ١٤٠٠هـ، مطبعة الخيّام - قم، الناشر: منشورات مكتبة جامع چهلستون - طهران.

٤. **الأمالي**، محمّد بن الحسن بن عليّ الطوسيّ (ت: ٤٦٠هـ) تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، طبع: مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ط١، قم المقدّسة - إيران.

٥. **الأمثال في الحديث النبويّ**، تخريج ودراسة: الدكتور محمّد جابر فياض العلوانيّ، طبع: المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، الطبعة الأولى، عمّان - الأردن.

٦. **الأمن الإنسانيّ في خلافة الإمام الحسن (عليه السلام) بين بنود وثيقة الصُّلح للإمام الحسن (عليه السلام) والجمعية العامّة للأمم المتحدة**، السيّد نبيل الحسنيّ الكربلائيّ، إصدار مؤسّسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينيّة المقدّسة، ط١، دار الكفيل ١٤٣٨هـ، ٢٠١٦م.

٧. **الأمن الفكريّ الإسلاميّ**، مجلّة الأمن والحياة العدد: ١٨٧ - لسنة ١٩٩٨م.

٨. **الأمن الفكريّ في مواجهة المؤثّرات الفكريّة**؛ د. حيدر عبد الرحمن الحيدر، ط أكاديميّة الشرطة جمهورية مصر العربيّة، ط١، لسنة ١٤٢٣هـ.

٩. **الأمن والتنمية دراسة تحليليّة**، محمّد نصير، (ت: ١٣٦٣ هـ)، الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٩٩٢م.

١٠. **أنساب الأشراف**، أحمد بن يحيى البلاذريّ (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: محمود الفردوس العظم، صبحي الماردينيّ، طبع: دار اليقظة العربيّة لسنة ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، دمشق - سوريا.

١١. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**، الشيخ محمّد باقر المجلسيّ، طبع: مؤسّسة الوفاء لسنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ط٢، بيروت - لبنان.

١٢. **البداية والنهاية**، الحافظ أبو الفداء ابن كثير الدمشقيّ (ت: ٧٧٤هـ)، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، بيروت ـ لبنان.

١٣. **بصائر الدرجات، محمّد بن الحسن الصفّار، (ت: ٢٩٠هـ)**، تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، لسنة: ١٤٠٤ - ١٣٦٢ ش، الناشر: منشورات الأعلمي - طهران.

١٤. **البصائر والذخائر**، أبو حيان التوحيدي، (ت: ٤١٤هـ)، ط١، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان.

١٥. **البيان**، محمّد بن جمال الدين مكّي العامليّ (الشهيد الأوّل) (قُدِّس سِرُّه)، (٧٣٤ - ٧٨٦)، مجمع الذخائر الإسلاميّة، قم- إيران.

١٦. **تاج العروس من جواهر القاموس**، مرتضى الزبيديّ: (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: عليّ شيري، طبع: دار الفكر، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، بيروت ـ لبنان.

١٧. **التاريخ العربي والمؤرِّخون (دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام)**، د. شاكر مصطفى، ١٩٢١-١٩٩٧م، الطبعة الثالثة- ١٩٨٣، نشر: دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.

١٨. **تاريخ مدينة دمشق**، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمر بن غرامة العمرويّ، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، بيروت ـ لبنان.

١٩. **تاريخ اليعقوبيّ**، أحمد بن أبي يعقوب يعقوبي، (ت: ٢٨٤هـ)، الطبعة السادسة (١٩٩٥م)،نشر: دار صادر- بيروت - لبنان.

٢٠. **التعريفات**، عليّ بن محمّد بن عليّ الزين الشريف الجرجانيّ (ت: ٨١٦هـ)، ضبطه وصحّحه جماعةٌ من العلماء بإشراف الناشر، نشر: دار الكتب العلميّة بيروت -لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢١. **تكسير الأصنام بين تصريح النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وتعتيم البخاريّ**، السيّد نبيل الحسنيّ، نشر: شعبة الدراسات والبحوث

الإسلاميّة في العتبة الحسينيّة المقدّسة، طبع: مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات لسنة ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، ط١، بيروت - لبنان.

٢٢. **تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيّين**، الحاكم المحسن بن محمّد بن أحمد بن الحسن بن كرامة بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن الحنفية ابن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام (ت: ٤٩٤هـ)، تحقيق: السيّد تحسين آل شبيب الموسويّ، طبع: مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة لسنة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، قم المقدّسة - إيران.

٢٣. **الجامع الصغير (الروض الداني)**، سليمان بن أحمد بن أيّوب بن مطير اللخميّ الشاميّ، أبو القاسم الطبرانيّ (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: محمّد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلاميّ، دار عمّار - بيروت، عمّان، ط١، ١٤٠٥-١٩٨٥م.

٢٤. **جمع الفوائد من جامع الأصول والفوائد**، محمّد بن محمّد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر المغربيّ (ت: ١٠٩٤هـ)، طبع: دار القبلة للثقافة الإسلاميّة، جَدّة - المملكة العربيّة السعوديّة.

٢٥. **حركة التاريخ وسُننه عند عليّ وفاطمة (عليهما السلام)**، السيّد نبيل الحسنيّ، نشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلاميّة في العتبة الحسينيّة المقدّسة، طبع: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات لسنة ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، ط١، بيروت - لبنان.

٢٦. **الرسائل العشر**، شيخ الطائفة محمّد بن الحسن بن عليّ الطوسيّ (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: مهدي الرجائيّ، طبع: مؤسّسة النشر الإسلامي لسنة

١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، ط١، قم المقدسة - إيران.

٢٧. **سُنن ابن ماجه**، أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزوينيّ ابن ماجه، ط١، نشر: دار إحياء التراث العربيّ، سنة الطبع: ١٤٢١هـ)، بيروت.

٢٨. **سُنن الترمذيّ**، محمّد بن عيسى أبو عيسى الترمذيّ، (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، طبع: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت-لبنان.

٢٩. **الشريعة الإسلاميّة وأثرها في تعزيز الأمن الفكريّ**، الشيخ عبد الرحمن السديس، الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٣٠. **شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت (عليهم السلام)**، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد، المعروف بـ(الحاكم الحسكاني)، الطبعة الأولى، مؤسّسة الطبع لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، ١٤١١هـ.

٣١. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة**، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، طبع: دار العلم للملايين لسنة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ط٤، بيروت - لبنان.

٣٢. **صحيح البخاريّ**، محمّد بن إسماعيل البخاريّ الجعفيّ (ت: ٨٥٢هـ)، طبع: دار العلوم الإنسانيّة لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، دمشق - سوريا.

٣٣. **صحيح مسلم**، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيريّ النيسابوريّ، (ت: ٢٦١هـ)، طبع: دار الفكر، بيروت - لبنان.

٣٤. **العروة الوثقى فيما تعمّ به البلوى**، السيد اليزديّ (قدّس سرّه) مع تعليقات عدّة لمراجع الطائفة (عليهم الرحمة والرضوان) بتحقيق ونشر

مؤسّسة النشر الإسلاميّ لجماعة المدرّسين -قم.

٣٥. **العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، طبع: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات لسنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، ط١، بيروت - لبنان.

٣٦. **فتح الوهّاب بتخريج أحاديث الشهاب**، أحمد بن الصديق الغماريّ الشافعي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، طبع: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، بيروت - لبنان.

٣٧. **فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)**، أحمد بن محمّد بن سعيد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن زياد بن عبد الله بن عجلان، أبو العباس المعروف بـ(ابن عقدة الكوفيّ) (ت: ٣٣٢هـ)، طبع: منشورات دليل ما لسنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ط١، قم المقدّسة - إيران.

٣٨. **القاموس المحيط**، الشيخ مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروز آباديّ، ط١، طبع: مؤسسة النوري لسنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، دمشق - سوريا.

٣٩. **الكافي** في الأصول والفروع، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني: ط٥، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران لسنة ١٤٠٩ هـ.

٤٠. **كتاب الأمثال في الحديث النبويّ**، عبد الله بن حبّان (أبي الشيخ الأصبهانيّ)، (ت: ٣٦٩هـ)، جمع وتخريج ودراسة: الدكتور محمّد جابر فياض العلوانيّ، طبع: المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ لسنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، الطبعة الأولى، عمان - الأردن.

٤١. **كتاب سليم بن قيس الهلاليّ**، تحقيق: الشيخ محمّد باقر الأنصاريّ الزنجانيّ، طبع: دار دليل ما لسنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، ط٣، قم المقدسة- إيران.

٤٢. **كشف الأستار عن زوائد البزار**، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت: ٨٠٧ هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت.

٤٣. **كفاية الأثر**، القاسم عليّ بن محمّد بن عليّ الخزاز القميّ الرازيّ، تحقيق: السيّد عبد اللّطيف الحسينيّ الكوهكمريّ الخوئيّ، طبع: انتشارات بيدار لسنة ١٤٠١هـ، ١٩٨٠م، قم المقدّسة - إيران.

٤٤. **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، علاء الدين عليّ بن حسام الدين المتقي الهنديّ (ت: ٩٧٥هـ)، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، نشر: مؤسّسة الرسالة، سنة الطبع: ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، بيروت - لبنان

٤٥. **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن عليّ بن عادل الحنبليّ الدمشقيّ النعمانيّ (ت: ٧٧٥ هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ عليّ محمّد معوض، الناشر: دار الكتب العلميّة - بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٦. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، أبو الحسن نور الدين عليّ بن أبي بكر بن سليمان الهيثميّ (ت: ٨٠٧هـ)، طبع: دار الفكر لسنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، بيروت - لبنان.

٤٧. **المُخصّص**، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل النحويّ اللغويّ الأندلسيّ

المعروف بابن سيده (ت: ٤٥٨هـ)، طبع: دار الفكر لسنة ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، بيروت - لبنان.

٤٨. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمّد بن عبد الله بن محمّد بن حمدويه ابن نُعيم بن الحكم الضبيّ الطهمانيّ النيسابوريّ المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر وطبع: دار الكتب العلميّة لسنة ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان.

٤٩. **مسند أبي يعلى الموصلي**، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميميّ، تحقيق: ظهير الدين عبد الرحمان، ط١، دار الفكر، سنة الطبع: ١٤٢٢هـ، بيروت.

٥٠. **مسند أحمد بن حنبل**، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيبانيّ (ت: ٢٤١هـ)، طبع: مؤسسة قرطبة لسنة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، القاهرة ـ مصر.

٥١. **مسند البزار**، صديق بن حسن القنوجيّ (ت ١٣٠٧هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن، طبع: مؤسّسة علوم القرآن لسنة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، بيروت - لبنان.

٥٢. **مسند الشهاب**، أبو عبد الله محمّد بن سلامة بن جعفر بن عليّ بن حكمون القضاعيّ المصريّ (ت: ٤٥٤هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، الطبعة الثانية، طبع: مؤسّسة الرسالة لسنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٥م، بيروت - لبنان.

٥٣. **مسند الفردوس للديلميّ**، أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلميّ الهمذانيّ (ت: ٥٠٩هـ)، طبع: دار الكتب العلميّة لسنة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ط١، بيروت - لبنان.

٥٤. **مشكاة المصابيح**، محمّد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، وليّ الدين التبريزيّ (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمّد ناصر الدين الألبانيّ، طبع: المكتب الإسلاميّ لسنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ط٣، بيروت - لبنان.

٥٥. **المصطلحات**، إعداد المركز الفقهي، (د. ط)، (د. ت).

٥٦. **المعجم الأوسط للطبرانيّ**، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانّي (ت: ٣٦٠هـ)، طبع: مكتبة المعارف لسنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ط١، الرياض - المملكة العربية السعوديّة.

٥٧. **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة واللاتينيّة**، جميل صليبا، ت:١٩٧٦م، نشر: دار الكتاب اللبناني - بيروت.

٥٨. **المعجم القانوني**، حارث سليمان الفاروقي، ط٣، نشر: مكتبة لبنان، ١٩٩١م، بيروت.

٥٩. **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيّوب بن مطير اللخميّ الشاميّ، أبو القاسم الطبرانيّ، (ت: ٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفيّ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢، (دار الصميعي - الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

٦٠. **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة**، الدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم (مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر)، الطبعة الأولى ١٩٩٩م- ١٤١٩هـ، نشر: دار الفضيلة، القاهرة - مصر.

٦١. **المعجم الوجيز من أحاديث الرسول العزيز (صلّى الله عليه وآله)**، السيّد

عبد الله ميرغني الحنفي نزيل الطائف (ت: ١٢٠٧هـ)، طبع: عالم الكتب لسنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٦٢. **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيّات، ومحمّد علي النجاء، طبع: دار الدعوة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، ط١، تركيا.

٦٣. **معجم لغة الفقهاء، محمّد قلعجي**، طبع: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان.

٦٤. **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبع: دار الفكر لسنة ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، بيروت - لبنان.

٦٥. **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بـ(الراغب الأصفهاني) (ت: ٥٠٢هـ)، طبع: دار إحياء التراث العربيّ لسنة ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م، ط١، بيروت - لبنان.

٦٦. **مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام)**، محمّد بن سليمان الكوفيّ، ط١ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم ـ إيران لسنة، محرّم الحرام ١٤١٢هـ.

٦٧. **موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)**، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)، الطبعة الثالثة، لسنة: ١٤١٦ - ١٩٩٥ م، نشر: دار المعروف.

٦٨. **نشأة علم التاريخ عند العرب**، د. عبد العزيز الدوري، ت: ١٩١٩-٢٠١٠م، مركز دراسات الوحدة العربية.

٦٩. **النظرية القرآنيّة لتفسير حركة التاريخ**، حسن سلمان، ط١، مؤسّسة الوفاء ١٤٠٦ هـ، بيروت- لبنان.

٧٠. **نهج البلاغة**، الشريف الرضي، تحقيق: صبحي صالح، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، بيروت.

٧١. **نوادر الأصول في أحاديث الرسول (صلّى الله عليه وآله)**، محمّد بن عليّ بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذيّ (ت: نحو ٣٢٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل - بيروت.

- البحوث والمجلات:

١. **استراتيجية الأمن الفكريّ**، بحث مقدم للمؤتمر الوطنيّ الأوّل لسنة ١٤٣٠هـ إعداد: متعب بن شديد نقلًا عن: صحيفة الجزيرة العدد٩٧٢٢ الصادر في ٢٦ محرم الحرام ١٤٢٠هـ.

٢. **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن عليّ، ابن حجر العسقلانيّ (ت: ٨٥٢هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ عليّ محمّد معوض، طبع: دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٣. **الأمن الفكريّ والعقائديّ مفاهيمه وخصائصه وكيفيّة تحقيقه**؛ أحمد بن عليّ بن المجدوب، نشر دار النشر بالمركز العربيّ للدراسات الأمنيّة والتدريب بالرياض لسنة ١٤٠٨هـ.

- **المواقع الإلكترونية:**

١. **دور الإعلام في قضايا الأمن الاقتصاديّ والاجتماعيّ**، د. سناء الحاج: (www.ministryinfo.gov.lb).

٢. **ويكيبيديا - الموسوعة الحرة**، موسوعة إنترنت، ٩ يوليو ٢٠٠٣.

المحتويات:

المُقَدِّمَة.. ... ... ٧

المدخل إلى الدراسة: الحاجة إلى الأمن الفكريّ وأهميّته. ١١

أوّلًا- فطريّة الحاجة إلى الأمن الفكريّ ١١

ثانيًا- تَعدُّد الحاجة إلى الأمن ١١

ثالثًا- نتائج فقدان الأمن الفكريّ ١٢

رابعًا- اهتمام الشريعة الإسلاميّة بالأمن الفكريّ. ١٢

خامسًا- أثر التوحيد في تأمين الفكر من التطرُّف. ١٢

سادسًا- منهجيّة البحث... ... ... ١٣

الفصل الأوّل: تعريف الأمن الفكريّ وبيان مفهوم المصطلح وتأصيله. ...١٥

توطئة: السَّير التاريخيّ لمصطلح الأمن الفكريّ ١٧

المبحث الأوّل: التعريف التجزيئيّ لمصطلح الأمن الفكريّ ١٩

المسألة الأولى: تعريف الأمن في اللُّغة والاصطلاح وبيان أنواعه.. ... ... ١٩

أوّلًا- الأمن لُغةً ١٩

ثانيًا- الأمن اصطلاحًا ١٩

ثالثًا- أنواع الأمن.. ... ... ٢٠

المسألة الثانية: تعريف الفكر في اللُّغة والاصطلاح. ٢٢
أوّلًا- الفكر لُغةً ٢٢
ثانيًا- التعريف المختار. ٢٢
ثالثًا- الفكر في الاصطلاح ٢٢
رابعًا- التعريف المختار ٢٣
المبحث الثاني: التعريف التركيبيّ لمصطلح الأمن الفكريّ... ... ... ٢٥
المسألة الأولى: عرض التعاريف وتحليلها ومناقشتها. ٢٥
أوّلًا- الشيخ عبد الله بن بيه ٢٥
ثانيًا- الشيخ السديس. ٢٦
ثالثًا- الدكتور حيدر الحيدر ٢٦
رابعًا- محمّد نصير. ٢٧
خامسًا- سعيد الوادعي. ٢٨
سادسًا- وعرّفه آخرون ٢٩
المسألة الثانية: تأثير الأيديولوجيا السياسيّة والمذهبيّة في بناء التعريف ومفهومه ٢٩
المسألة الثالثة: التعريف المختار لمصطلح الأمن الفكريّ ومرجعيّاته. ٣٠
أوّلًا- التعريف المختار. ٣٠
ثانيًا- المرجعية التاريخيّة لاختيار التعريف ٣١

الفصل الثاني: موارد تأصيل الأمن الفكريّ في القرآن الكريم.... ... ...٣٣

-توطئة. ٣٥

المبحث الأول: منهج الأنبياء (عليهم السلام) في تأصيل الأمن الفكريّ ومواجهة موانعه..٣٧

المسألة الأولى: منهج نبيّ الله نوحٍ (عليه السلام) في تأصيل الأمن الفكريّ في قومه...٣٧

أوّلًا- الأصلُ الذي بُنيَ عليه الأمنُ الفكريّ في منهاج نبيّ الله نوحٍ مواجهةُ الوثنيّة ٣٧

ثانيًا- عنصرا التطرّف الفكريّ في قوم نوح... ... ...٣٩

المسألة الثانية: منهج نبيّ الله هود (عليه السلام) في تأصيل الأمن الفكريّ في قوم عادٍ ومواجهة موانعه.. ... ...٤٠

أوّلًا- الأصل الذي بُنيَ عليه الأمنُ الفكريّ في منهاج نبيّ الله هود (عليه السلام) ٤٠

ثانيًا- موانع الأمن الفكريّ في قوم عاد... ... ...٤٠

المسألة الثالثة: منهج نبيّ الله صالحٍ (عليه السلام) في تأصيل الأمن الفكريّ في قوم ثمود ومواجهة موانعه.. ... ...٤٢

أوّلًا- الأصل في تحقيق الأمن الفكريّ في قوم صالح (عليه السلام) ٤٢

ثانيًا- العامل الأساس في فقدان الأمن الفكريّ في قوم صالح (عليه السلام) هم المسرفون. ٤٣

المسألة الرابعة: منهج نبيّ الله لوطٍ (عليه السلام) في تأصيل الأمن الفكريّ ومواجهة موانعه.٤٣

أوّلًا- الأصل في تحقيق الأمن الفكريّ في قوم لوط ٤٤

ثانيًا- موانع تحقيق الأمن الفكريّ في قوم نبيِّ الله لُوطٍ (عليه السلام) ٤٤

المسألة الخامسة: منهاج نبيّ الله شُعيبٍ (عليه السلام) في تأصيل الأمن الفكريّ في قوم مدين ومواجهة موانعه. ... ٤٥

أولًا- الأصل في تحقيق الأمن الفكريّ في قوم شعيب (عليه السلام). ... ٤٥

ثانيًا- موانع تحقيق الأمن الفكريّ في قوم مدين ٤٥

المبحث الثاني: سِمة التكذيب التي سَرَتْ في الأُمم السابقة وآثارها في نشر التطرُّف الفكريّ ووسائل مواجهته من أُولي العزم الثلاثة إبراهيم وموسى وعيسى .. ٤٧

المسألة الأولى: مواجهةُ نبيّ الله إبراهيم الخليل للفكر المتطرِّف وسَعيه في تأصيل الأمن الفكريّ. ... ٤٨

أولًا- الولادة والنشأة ٤٨

ثانيًا- الأفكار السائدة في زمانه ... ٤٨

ثالثًا- تنشيط الوعي الفكريّ لتغيير الواقع المتردّي لأهل زمانه.. ... ٤٩

رابعًا- الرؤية القرآنيّة الكاشفة عن منهجه في الأمن الفكريّ ... ٤٩

خامسًا- موقفه (عليه السلام) من ظاهرة الشكّ في الله تعالى.. ... ٥١

المسألة الثانية: مواجهة نبيِّ الله موسى الكليم (عليه السلام) للفكر المتطرِّف وسعيه في تأصيل الأمن الفكريّ. ... ٥٣

أولًا- تعاظُم المفاهيم المتطرِّفة وتنامي الوثنية وتعددُّ مناشئها وتنوع صورها في زمن موسى.٥٣

ثانيًا- منزلة الخلافة من أبرز مظاهر تكذيب الأنبياء وتجلّيها في الحياة الفكريّة لبني إسرائيل.٥٤

ثالثًا- مواجهة موسى الكليم (عليه السلام) للتطرّف الفكريّ وتعدُّد أنماطه في محاربة أصل النبوَّة..٥٤

رابعًا- تنامي الفكر المتطرّف في قوم موسى بعد إيمانهم بالنبوَّة عبر الرجوع إلى مُدَّعي العلم.٥٩

المسألة الثالثة: مواجهة نبيِّ الله عيسى (عليه السلام) للفِكر المتطرّف وسَعيه في تأصيل الأمن الفكريّ.....٦٥

أوّلًا- محنة ولادته بخلاف السُّنن الكونيّة المقتضية للأنجاب والتكاثر المكوَّن من الذكر والأُنثى وسُبُل مواجهتها في تأصيل الأمن الفكريّ ٦٥

ثانيًا- محنة الثالوث وسريانها بين بني إسرائيل كالنار في الهشيم ومواجهتها ٦٧

ثالثًا- محنة تغيير الأحكام الشرعيّة وما ترتّب عليها من آثارٍ دنيويّة وأُخرويّة ٦٨

رابعًا- محنة الغُلُوِّ فيه وفي أُمّه (عليها السلام) وأثره في نشر التطرّف وكيفيّة مواجهته ٦٩

١- أثرُ الغُلُوِّ في التطرّف الفكريّ وسَرَيانه من بني إسرائيل إلى المسلمين. ٦٩

٢- براءة نبيّ الله عيسى من التقوّل على الله تعالى وسريانه إلى المسلمين بعد وفاة رسول الله ٧٠

خامسًا- محنة تكذيبه وبما جاء به من آياتٍ إلهيّة وأثره في التطرّف الفكريّ وسُبُل مواجهته..٧٢

الفصل الثالث: وسائل تأصيل الأمن الفكريّ وتحقيقه في السُّنّة النبويّة... .٧٥

-توطئة. ٧٧

المبحث الأول: متابعة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) للمنهج القرآنيّ في تأصيل الأمن الفكريّ وأدوات تحقيقه ٧٩

المسألة الأُولى: أسباب تعدُّد وسائل الأمن الفكريّ في المنهج القرآنيّ واستعانة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بها. ٧٩

أوّلًا- استعانة النبي (صلّى الله عليه وآله) بوسيلة القِصّة في تأصيل الأمن الفكريّ. ٨٠

ثانيًا- الآيات الداعية للنظر في سيرة السابقين والتي سار على وفقها المنهج النبويّ. ٨٠

المسألة الثانية: استعانة النبيّ (ﷺ) بالأحداث التاريخيّة التي عرضها القرآن لترسيخ الأمن الفكريّ. ٨٢

أوّلًا- أسباب تركيز النبيِّ (ﷺ) على أحداث بني إسرائيل ووقائعهم الحياتيّة ٨٤

ثانيًا- تنوّع الوسائل النبوية وفق متغيرات العصر والطبيعة البشريّة في ترسيخ الأمن الفكريّ وتأصيله في الأُمّة... ... ...٨٦

المسألة الثالثة: تحذير النبيّ (ﷺ) من المخاطر القادمة وبيان آثارها في تنامي الفكر المتطرِّف وزعزعةِ الأمن ٨٧

المبحث الثاني: مرتكزات تأصيل الأمن الفكريّ عند رسول الله (ﷺ) ٨٩

المسألة الأولى: إرجاع الأمور إلى رسول الله (ﷺ) وعترته (عليهم السلام) وأثره في تكوين المرتكز الأول لتأصيل الأمن الفكريّ... ... ...٨٩

أوّلًا- أسباب الانحراف والتطرّف الفكريّ.. ... ...٨٩

ثانيًا- محدِّدات الأمن الفكريّ في آية أولي الأمر... ... ...٩٠

١- الرجوع إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وإلى أُولي الأمر. ٩١

٢- تحديد صلاحيات الحاكم.... ... ...٩١

٣- توسعة دائرة المسؤوليّة الفكريّة. ٩٢

المبحث الثالث: الوسائل التعليميّة وأثرها في تحقيق الأمن الفكريّ عند رسول الله (ﷺ)، وسيلة (الكساء) اختيارًا.....٩٥

-توطئة.....٩٥

المسألة الأولى: ترسيخ دلالة حصر الإمامة عبر وسيلة (الكساء) وأثرها التعليميّ في تأصيل الأمن الفكريّ.....٩٥

المسألة الثانية: تَعدُّد طُرق حديث الكساء كاشف عن تأصيل النبيِّ (ﷺ) لمرتكزات الأمن الفكريّ في أهل بيته (عليهم السلام).....٩٦

المسألة الثالثة: الحكمة من التحديد والحصر التي عيَّنتها وسيلةُ الكساء.....٩٩

المبحث الرابع: منهاج النبيّ (ﷺ) في تأصيل الأمن الفكريّ عبر وسيلة المثَلِ وتلازمه مع المنهج القرآنيّ.....١٠١

- توطئة.....١٠١

المسألة الأولى: تنزيل القرآن للحقائق بواسطة الأمثال.....١٠١

المسألة الثانية: وسيلة المثل في المنهج الإرشاديّ عند النبيّ (ﷺ).....١٠٢

أَوّلًا- الاستشهاد بمَثَلِ السفينة.....١٠٣

ثانيًا- الاستشهاد بمَثَلِ باب حِطّة.....١٠٤

ثالثًا- الاستشهادُ بمَثَل الشَّجَرة.....١٠٥

رابعًا- الاستشهاد بمَثَلِ الميزان.....١٠٦

خامسًا- الاستشهاد بمَثَلِ الكنز وذي القرنين..... ١٠٦

سادسًا- الاستشهاد بمثل الشمس والقمر والفرقدين..... ١٠٦

المبحث الخامس: منهاجُ النبيِّ (ﷺ) في تأصيل الأمن الفكريّ عبر وسيلة التحذير وتلازمه مع المنهج القرآنيّ ١٠٩

- توطئة ١٠٩

المسألة الأولى: الاستعانة بالمنهج القرآنيّ في عرض المحاذير التي تُؤدّي إلى انعدام الأمن الفكريّ. ١٠٩

أوّلًا- التحذير مِنَ الانقلاب على ثوابت الرسالة المحمّديّة ١١٠

ثانيًا- إعلانه (ﷺ) عن الخليفة المجعول من الله تعالى لرَدْعِ الفِرقة من بعده ١١١

المسألة الثانية: إخباره (ﷺ) عن افتراق الأُمّة من بعده وتحذيره من مخاطره..... ١١٢

نتائج البحث..... ١١٥

ملحق الدراسة: الأسئلة التي طُرِحَتْ على الباحث في الندوة الفكريّة عبر الحوار التفاعليّ ١١٧

- توطئة ١١٧

أوّلًا- الأسئلة المباشرة: وقد نُظِّمتْ على وفق معطياتها الفكريّة. ١١٧

١- مصطلح الأمن الفكريّ والمعاصرة ١١٧

٢- تأصيل تطبيقات الأمن الفكريّ من الأحداث الحَرِجة في تاريخ الإسلام، وما دور عنصر الاجتهاد في تأمين الفكر؟ ١٢٠

٣- مرجعيّة الأمن الفكريّ في عصر الغيبة... ... ... ١٢١

٤- مصطلح الأمن بين حماية السُّلطة الحاكمة وتحقيق الأمن الفكريّ للمجتمع ١٢٢

٥- تعدُّد الوسائل التعليميّة في السيرة النبويّة ١٢٤

٦- السعة المعرفيّة لدائرة الأمن الفكريّ في الشريعة الإسلاميّة ١٢٧

٧- موقع فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تفعيل الأمن الفكريّ. ١٢٨

٨- مراعاة المتغيّرات الزمانيّة والمكانيّة في منظومة الأمن الفكريّ القرآنيّة ١٢٩

٩- الموقف الإبراهيميّ من الأصنام في منطق الأمن الفكريّ وأثر الحوار في تنمية الفكر ١٢٩

ثانيًا- الأسئلة التي وردت للباحث بعد انتهاء الوقت المحدَّد ١٣٠

* النتاج العلميّ والفكريّ للباحث في التأليف والتحقيق ١٣٩

المصادر والمراجع ١٦٧

تم بحمد الله